بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الشريعة
قسم أصول الدين

رسالة ماجستير
بعنوان

كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

إعداد الطالب
سلامه عوض خميس الحصان
الرقم الجامعي : ١٢٢٠١٠٥٠٠٣

إشراف الدكتور
عماد عبد الكريم خصاونه

الفصل الدراسي الأول
٢٠١٤ /٢٠١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

The Word Of Tawheed-There Is No God But Allah- In Holy Qur'an Objective study

إعداد الطالب

سلامة عوض خميس الحصان

الرقم الجامعي

(١٢٢٠١٠٥٠٠٣)

إشراف الدكتور

عماد عبدالكريم الخصاونة

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور عماد عبدالكريم الخصاونة	مشرفا ورئيسا	
الأستاذ الدكتور أمين محمد البطوش	عضوا	
الأستاذ الدكتور بهجت عبدالرزاق الحباشنة	عضوا	
الدكتور محمد محمود بني دومي	عضوا	

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة قسم أصول الدين في جامعة آل البيت نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٤.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

إهداء

إلى روح والدّي اللذين كان أسمى ما يسعيان إليه في هذه الحياة بعد رضا الله تعالى أن أكون من السعداء في الدنيا وفي الآخرة ، وقد علما أن أقرب الطرق الموصلة إلى ذلك هو العلم ، فتحملا من اجل ذلك ما تحملا .

إلى روح أخي الأكبر الذي كان يحفزني منذ الصغر ، وكان يحلم بهذا اليوم الذي يراني فيه وقد حصدت ما كنّا قد رسمنا معاً .

إلى أساتذتي وأصدقائي وكل من سلك طريقاً يلتمس فيه معرفة الله تعالى .

إلى كل من قدّم لي يد العون سواء المادي أو المعنوي في النصح والإرشاد .

إلى صاحبة الفضل بعد الله تعالى في تشجيعي ورفع معنوياتي ، إلى من تحملت وصبرت ، وقدمت بلا منّة ، زوجتي الغالية ، أهدي ثمار هذا العمل المتواضع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، أحمده حمداً يليق بجلاله ، والصلاة والسلام على الهادي البشير - ﷺ - وعلى أهل خير القرون والذين يلونهم من التابعين ، ومن سار على طريق الهدى إلى يوم الدين وبعد :

فإني أحمد الله تعالى أن هداني إلى أن أكتب رسالتي في خير العلوم وأساس بعث الأنبياء والمرسلين ، وأحمده بأن وفقني أن أتم هذا العمل ، الذي أرجو أن يكون خالصاً له .

ثم إني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان إلى أستاذي الدكتور عماد عبد الكريم خصاونه، الذي شرّفني أن أكتب بهذا الموضوع وآثرني به ، ثم أشرف على الرسالة فقدم لي النصح والتوجيه ، فله مني خالص التقدير .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المنافشة الأفاضل ، لتفضلهم بمناقشة هذا الرسالة ومراجعتها وتدقيقها والتعليق عليها ، راجياً من الله تعالى أن تكون جهودهم هذه في ميزان حسناتهم .

وأتقدم بالشكر إلى المكان الذي وجدت فيه ضالتي ، واطمأنت فيه نفسي ، إلى كلية الشريعة وكل من فيها من هيئة تدريسية وإدارية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

Contents

ملخص الرسالة ..... خ

المقدمة ١

مشكلة الدراسة : ٢

أهمية الدراسة : ٢

أهداف الدراسة : ٣

مسوغات اختيار الدراسة : ٣

منهج الدراسة : ٣

الدراسات السابقة : ٣

الفصل التمهيدي : لا إله إلا الله ، معناها ، أركانها ، شروطها ، مراتبها ، فضائلها ، حاجة الناس للتوحيد : ٥

المبحث الأول : معناها ، أركانها ، شروطها ، مراتبها : ٥

المطلب الأول : معنى لا إله إلا الله ٥

المطلب الثاني : أركانها : ٧

المطلب الثالث : مراتب كلمة التوحيد : ١٠

المطلب الرابع : شروطها : ١٣

المبحث الثاني : فضائلها ، حاجة الناس للتوحيد ١٩

المطلب الأول : فضائلها : ١٩

المطلب الثاني : حاجة الناس إلى التوحيد : ٢١

الفصل الأول : ورود لا إله إلا الله في القرآن الكريم ، صيغها ،القضايا التي عالجتها. ٣٠

المبحث الأول : ورودها في القرآن الكريم ٣٠

المطلب الأول : ورودها في الآيات المكية ٣٠

المطلب الثاني : ورودها في الآيات المدنية : ٣٢

المبحث الثاني : صيغها في القرآن الكريم ٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : صيغة ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب ٣٤
المطلب الثاني : صيغة الإسم الظاهر(العلم) - الله- ٣٨
المبحث الثالث : القضايا التي عالجتها كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – ٤٢
المطلب الأول : إثبات الوحدانية لله تعالى ٤٢
المطلب الثاني : إثبات يوم القيامة (البعث والنشور): ٤٦
المطلب الثالث :إثبات نبوة النبي محمد - ﷺ- ٥٠
المطلب الرابع : إثبات صدق القرآن الكريم ٥٥
الفصل الثاني : إرتباط لا إله إلا الله بأدلة الوحدانية و بأسماء الله وصفاته ٥٨
المبحث الأول : أدلة الوحدانية التي اقترنت بـ لا إله إلا الله ٥٨
المطلب الأول : القدرة على الخلق ٥٨
المطلب الثاني : القدرة على الإحياء والإماتة : ٦١
المطلب الثالث : إحاطة العلم ومطلق الحكم لله تعالى ٦٣
المطلب الرابع : تفرده تعالى بالرزق : ٦٥
المطلب الخامس: قدرته –سبحانه – على البعث والجمع والحساب : ٦٧
المبحث الثاني: إرتباط لا إله إلا الله بالأسماء والصفات ٦٩
المطلب الأول : وصف الله تعالى أسماءه بالحسنى ٦٩
المطلب الثاني : دلالة الأسماء والصفات على وحدانية الله تعالى ٧١
المطلب الثالث :دلالة تذييل آيات الوحدانية بالأسماء والصفات ٧٣
الفصل الثالث : منهج القرآن الكريم وأساليبه في عرض لا إله إلا الله ٧٩
المبحث الأول : منهج القرآن في عرض كلمة التوحيد ٧٩
المطلب الأول : ذكر إرسال الرسل ٧٩
المطلب الثاني: ذكر إنزال الكتب السماوية ٨٣
المطلب الثالث : إبطال عقيدة الشرك ٨٧
المطلب الرابع : الدعوة إلى النظر والاستدلال ٩٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : الأساليب التي استخدمها القرآن لتقرير كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " ٩٦
المطلب الأول : إسلوب القصر ٩٦
المطلب الثاني : اسلوب الأمر والاستفهام ٩٩
المطلب الثالث :التكرار ١٠٢
الفصل الرابع : نماذج من مواقف بعض الأمم من كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " ١٠٥
المبحث الأول : موقف فرعون وبني إسرائيل من الدعوة إلى التوحيد :..... ١٠٥
المطلب الأول : موقف فرعون وملئه من دعوة التوحيد : ١٠٥
المطلب الثاني : موقف بني إسرائيل من دعوة التوحيد..... ١٠٨
المبحث الثاني : موقف اليهود والنصارى والعرب المشركين من الدعوة إلى التوحيد..... ١١١
المطلب الأول :موقف اليهود من دعوة التوحيد : ١١١
المطلب الثاني :موقف النصارى من دعوة التوحيد : ١١٤
المطلب الثالث : موقف العرب من دعوة التوحيد ١١٦
المبحث الثالث : أسباب إعراض الكفار والمشركين عن قبول دعوة التوحيد ١٢٠
المطلب الأول : الإستكبار والجحود..... ١٢٠
المطلب الثاني : التبعية..... ١٢٣
المطلب الثالث : زعمهم أن الله تعالى لم يشأ لهم الهداية ١٢٦
الخاتمة..... ١٣١
التوصيات : ١٣٢
تحليل المصادر والمراجع..... ١٣٣
المصادر والمراجع ١٣٥
Abstract..... ١٤٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الطالب :

سلامة عوض خميس الحصان

إشراف الدكتور

عماد عبد الكريم خصاونة

الحمد لله الذي أثبت وحدانيته في إلوهيته وربوبيته وصفاته وأسمائه من خلال ما بث من الآيات في الآفاق والأنفس ونزه ذاته عن الشريك والند والمثيل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] ، وأمر بأن يُعرف المعرفة اليقينية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩] ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإن هذه الرسالة تبحث في موضوع هو أصل الديانات ، وغاية مبعث الرسالات وعنوان دعوة الرسل ؛ لأنه هو المعبود الحقيق بالعبادة دون غيره لما ثبت من عجز غيره عن مماثلة .

عالجت هذه الدراسة كلمة التوحيد في القرآن الكريم ، حيث جمعت فيها أبرز أقوال المفسرين ، وبينت ما أميل إليه من الأقوال عند وجود أكثر من رأي ، وما سكت عنه مما سقته من أقوال وأدلة فهو ما أميل إليه ، وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى الصواب .

ومن أهم المسائل التي عالجتها هذه الدراسة التعريف بكلمة التوحيد – لا إله إلا الله – لغة واصطلاحاً وأهمية تحقيق شروطها ، ثم بينت حاجة البشرية إلى التوحيد ، ومنهج القرآن الكريم وأساليبه في عرض كلمة التوحيد ، وأهم القضايا التي عالجتها ، وعلاقتها بالأسماء والصفات وموقف الأمم السابقة منها وسبب إعراضهم عن قبولها .

وختمت الرسالة بأهم النتائج حيث توصلت إلى أن حاجة البشرية إلى التوحيد حاجة فطرية تطلبها النفس الباحثة عن الحق ، وأن لكلمة التوحيد شروط يجب تحقيقها ولا يجوز إطلاق الأحكام التكفيرية بحق من قالها ولو بلسانه .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي له الحمد في الدنيا ، وله الحمد في الآخرة ، وله يرجع الخلق أجمعين: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠]، أرسل الرسل وأنزل الكتب والمعجزات ، ليقرر القاعدة العظمى والحقيقة الكبرى في نفوس العباد ليخرجهم من الظلمات إلى النور قَالَ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] والصلاة والسلام على الهادي النذير ، المبعوث رحمة للعالمين ، محمد بن عبد الله – ﷺ – الذي نصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده على لا إله إلا الله ؛ حتى أتاه الله اليقين ، فأرسله بهذه الكلمة – لا إله إلا الله – بشيراً ونذيراً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] وبعد :

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة ، وهو منهاج السائرين إلى طريق الحق المبين ، وهو الدليل القاطع والبرهان الساطع على الوحدانية لله تعالى ، وهو منهل العلوم ومنهاج الحياة القويمة ؛ لذلك من الأهمية دراسة علوم القرآن لشرفها ، وأهم هذه العلوم وأولها علم التفسير الذي بدأ مع نزول القرآن الكريم حيث فسّر النبي – ﷺ – القرآن حسب الحوادث والنوازل والسؤال وما أشكل على الصحابة لأنه هو المبيّن لما في القرآن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٤٤].

والتوحيد هو من أهم مقاصد القرآن الكريم ، وهو المحور الأساس الذي يقوم عليه الدين ، ودارت عليه سور القرآن الكريم ، لما له من أهمية في تنزيه الله تعالى عن الشريك والمثيل، والند والصاحبة والولد ، ولما يترتب على وحدانية الله تعالى من استقامة الحياة على منهاج واحد ، لا اعوجاج فيه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبما أن كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – هي الكلمة الأساس التي خاطب الله تعالى بها الرسل ليعلموها، وليفردوا الله تعالى في إلوهيته وربوبيته ،ثم ترسيخها في قلوب البشر وعقولهم ، كان من الضرورة البحث في هذه الكلمة التي أكثر القرآن من ذكرها ، وتنوع في إسلوب عرضها ، لننهل من فيض علومه الخير الكثير والعلم الوفير ، ما يرسخ هذه القاعدة العظمى في نفوسنا وتسير على منهاجه عقولنا ، وأسأل الله أن تأتي هذه الدراسة بما ينفع العباد في التقرب من رب العباد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

مشكلة الدراسة :

إن كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – هي القاعدة الأولى التي قامت عليها جميع الرسالات السماوية ؛ لذا ورد ذكر كلمة التوحيد في مواطن كثيرة في القرآن الكريم ؛ لما لها من أهمية ، وتكمن أهميتها في أنها هي طريق المعرفة الحقة لذات الله تعالى ومفتاح الجنة ، لذلك كان من الأهمية أن نبحث في الآيات التي جاءت متضمنة لكلمة التوحيد لتجيب عن الأسئلة التالية :

١- ما هي القضايا التي عالجتها كلمة التوحيد في القرآن الكريم ؟

٢- كيف استطاع القرآن الكريم أن يعرض كلمة التوحيد على الناس ؟

٣- كيف دلت أسماء الله تعالى وصفاته ودلائل قدرته على وحدانية الله تعالى ؟

٤- ما هي الأسباب والدوافع التي حالت بين الكفار والمشركين في جميع الأزمان وبين الإذعان لكلمة التوحيد ؟

أهمية الدراسة :

ذكرت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، وبصيغ مختلفة ، منها في العهد المكي ومنها في العهد المدني ، ولأن كلمة التوحيد هي الهدف الأسمى والغاية العظمى من خلق الإنسان كان لابد من جمع الآيات المتعلقة بهذه الكلمة ، ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تتبع الآيات التي وردت فيها كلمة التوحيد ، ودراستها دراسة موضوعية ، من خلال كتب التفسير القديمة والمعاصرة ، بغية الوصول إلى معانٍ وأفكار يمكن الإفادة منها في حياة الناس اليوم .

مسوغات اختيار الدراسة :

- ورود كلمة التوحيد في القرآن الكريم في العهدين المكي والمدني علماً أنها من أساسيات العهد المكي .
- عدم وجود دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع بشكل تام ومستقل .
- أهمية كلمة التوحيد في حياتنا وخاصة في أيامنا هذه حيث أساء الكثير فهم معنى التوحيد .

منهج الدراسة :

اتبع الباحث في دراسته المناهج التالية :

١- المنهج الإستقرائي : حيث تتبع الباحث كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم ، وحسب ورود الآيات في السور المكية والمدنية .

٢- المنهج التحليلي : قام الباحث بإتباع التفسير التحليلي للآيات القرآنية معتمداً على كتب التفسير ، والاستعانة ببعض آراء علماء العقيدة من خلال كتب العقيدة .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والإطلاع في الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع ، لم يجد الباحث حسب اطلاعه إلا الدراسة التالية :

١- بحث محكم بعنوان (كلمة – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم) للدكتور عماد خصاونة.

ووجد الباحث كتابات تناولت كلمة التوحيد منها :

١- معنى لا إله إلا الله، الزركشي.

٢- كلمة الإخلاص وتحقيقها معناها، ابن رجب الحنبلي.

٣- معنى لا إله إلا الله، صالح الفوزان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- شروط لا إله إلا الله، عواد المعتق.

٥- تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله ، أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل.

٦- مختصر معارج القبول ، الشيخ حافظ بن أحمد آل حكمي .

٧- كتاب لا إله إلا الله مفتاح الجنة ، د: ياسر بن حسين بن برهام

وبعد الإطلاع على هذه المؤلفات تبين أن جميع هذه المؤلفات تناولت موضوع كلمة التوحيد بشكل جزئي ، فالزركشي كتب في جزئية وهي إعراب لا إله إلا الله ، وأما دراسة ابن رجب الحنبلي والفوزان والمعتق فتعتمد اعتماداً كبيراً على جمع الأحاديث النبوية وتحليلها ، وقد أفاد الباحث من هذه الدراسات الفائدة الجمة .

وأما دراسة كلمة لا إله إلا الله في القرآن للدكتور عماد خصاونه فقد تناولت كيفية الإستدلال القرآني والمشتمل على ما يلي : أولا: الاستدلال بشهادته تعالى وأسماءه وصفاته ، ثانيا : الإستدلال بقصص الأنبياء في القرآن الكريم ، والأهداف من الإستدلال القرآني على كلمة لا إله إلا الله من خلال أولاً : توحيد الله تعالى ، ثانياً: التصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثالثا ً : التصديق بالقرآن الكريم ،رابعا : التصديق بيوم القيامة ، خامساً: التصديق بالإسلام ، وكانت هذه الدراسة هي النواة التي انطلق منها الباحث في دراسته لكلمة التوحيد في القرآن الكريم دراسة موضوعية .

أما ما قام به الباحث فهو دراسة الآيات القرآنية التي اشتملت على كلمة التوحيد –لا إله إلا الله – والقضايا التي عالجتها ، ثم بيان منهج القرآن الكريم وأساليبه في عرض كلمة التوحيد ، والوقوف على الأسماء والصفات ودلائل قدرة الله تعالى الدالة على الوحدانية وموقف الناس منها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدي : لا إله إلا الله ، معناها ، أركانها ، شروطها ، مراتبها ، فضائلها ، حاجة الناس للتوحيد :

المبحث الأول : معناها ، أركانها ، شروطها ، مراتبها :

المطلب الأول : معنى لا إله إلا الله

قبل البدء بتعريف كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – لابد لنا أن نتعرف على هذه الكلمة المكونة من (لا) النافية للجنس ، و(إله) والتي تعني المعبود ،جاء في لسان العرب : " (ألَه) الإلهُ الله عز وجل وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إلهٌ عند متخذه والجمع آلِهَةٌ " (١) وفي المعجم الوسيط :و(ألَه) فلان إلاهة وألوهة وألوهية عبد ، وألها تحير وإليه لجأ وعليه اشتد جزعه وبالمكان أقام ، و(ألهه) اتخذه إلها وعده إلها و(تألَه) تنسك وتعبد وادعى الإلوهية ،و(الإله) كل ما اتخذ معبودا آلهة ، و(التأليه) القول بوجود إله مدبر للكون " (٢) ، و(إلا) أداة الحصر والقصر ــ وكلمة (الله) علم الذات الإلهية مختص به تعالى .

وبالتعرف على دلالة كل جزئية من جزئيات هذه الكلمة ، يتضح أن (لا) النافية للجنس تنفي وجود أي جنس من أنواع الآلهة باستثناء الله تعالى الذي دل عليه حرف القصر (إلا) ، لأن الكافرين من قبل كانت لهم آلهة يعبدونها من دون الله ، وكان للمشركين آلهة يعبدونها تقرباً إلى الله ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] .

والإله هو المعبود بحق المقصود بالحوائج ، المتصرف بأمور الخلق ، من الخلق والرزق ، الذي تتجه إليه أفئدة الناس بفطرتهم عند الحاجة ، " ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبِّراً وعليه مقتدراً فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عُبِدَ ظُلْماً بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد " (٣) ، والمقصود من كلمة الحق في – المعبود الحق– أي انه المستحق للعبادة دون غيره مما أتخذ من دون الله إلهاً لقوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا

---

١ – ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور ،**لسان العرب** ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى، ج ١٣، ص ٤٦٧ ، مادة (ألَه) .

٢ – إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة ،ج١ ، ص٢٥، باب الهمزة ، مادة (ألَه).

٣ – ابن منظور، المصدر السابق ، ج ١٣، ص ٤٦٧ ، مادة (ألَه).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] ؛ " لأن آلهة الباطل موجودة في الوجود كالوثن ، والمقصود نفي ما عدا إله الحق "(١) .

ومعنى كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – " هو البراءة مما يُعْبَدُ من دون الله، وإفراد الله بالعبادة، وذلك هو التوحيد لا مجرد الإقرار بوجود الله وملكه وقدرته وخلقه لكل شيء، فإن هذا يقرُّ به الكفار"(٢) ، وقد بينت ذلك الآيات الكريمة قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١] وكذلك قوله تَعَالَى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، فالله تعالى يقول إذا سألت هؤلاء عن خالق السموات والأرض ومسخر الشمس والقمر ومنزل الغيث من السماء فسيقولون الله ! فلماذا هذا الإشراك ؟ " فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية" (٣)

وقد وردت النصوص القرآنية الكثيرة التي تبين ذلك منها قوله تَعَالَى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة ٣١] ،"﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أيْ: " الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله حل، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ {لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} أي: تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه"(٤) .

---

١ – الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، **معنى لا إله إلا الله** ، تحقيق: علي محيي الدين علي القرة راغي ، دار الاعتصام – القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص٧٤.

٢ – عبدالوهاب ، سليمان بن عبدالله (المتوفى : ١٢٣٣هـ) ، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد** ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي بيروت – دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ –٢٠٠٢م ، ج١ ، ص ١١٣ .

٣ – ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (المتوفى : ٧٧٤ هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق : سامي بن محمد ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م ، ج٦ ، ص ٢٩٤ .

٤ – المصدر ذاته، ج٤ ، ص ١٣٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يظهر من خلال النصوص القرآنية ، أن توحيد الإلوهية غير توحيد الربوبية قال تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، وهذا كان جواب مشركي قريش عندما دعاهم النبي-ﷺ- إلى توحيد الله تعالى ، وقريباً منه كان جواب قوم هود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:٧٠] ، بل إن مستلزمات توحيد الربوبية هي دلائل توحيد الإلوهية ،" والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها : هي العبادة والتأليه. ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذى أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به ، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية " .(١)

المطلب الثاني : أركانها :

أولاً : أركانها : جاءت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – بركنين رئيسين هما :

أولاً :النفي بحرف النفي (لا) النافية للجنس

ثانياً : الإثبات بحرف القصر (إلا) .

فقد نفت في الأولى إلوهية غير الله تعالى وأثبتت في الثانية إلوهية الله تعالى المستحق للعبادة الذي لا معبود بحقٍ سواه ، لأن القول " لا إله يقتضي النفي العام الشامل لكل إله ، فإذا قال بعده : إلا الله أفاد التوحيد المطلق المحقق بإثباته توحيداً بعد نفي الشركاء والأضداد " (٢) ، فأينما وجدت في القرآن وجد معها أركانها ومنها، قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥]، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨]. ، وبدأت بلا النافية ؛ " لأن

---

١ – ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١هـ) ، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ج٢ ، ص١٣٥ .

٢– دراز ، صبّاح عبيد ، **أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية** ، مطبعة الأمانة – مصر ، الطبعة الأولى : ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .ص ١٩٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النفي تفريغ القلب ، فإذا كان خالياً كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه وإشراق نورالله تعالى عليه " (١) ، ثم جاءت بإثبات الإلهية الحقة لله تعالى دون سواه لأن ما أشركوا مع الله من آلهة باطلة لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[الحج : ٦٢] .

وذُكِر النفي في جملتين وهما : (لا إله إلا الله) و (وما من إله إلا الله) فكان النفي في الأولى بـــ (لا) وهي الأكثر استخداماً في القرآن ، والثانية بـــ (وما من) حيث ذكرت ثلاث مرات ، مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة ص ومرة في سورة المائدة ، و (ما) مع (من) تأتي بمعنى ليس أي " ليْسَ إله إلا إله واحد " (٢) أما في سورة آل عمران فقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران : ٦٢] ، و(من) في (وما من إله إلا الله) جاءت" في إفادة معنى الاستغراق، والمراد الردّ على النصارى في تثليثهم "(٣) ، وفي سورة ص قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[ص :٦٥] ، وقد سبق هذه الآية في بداية السورة آيات تدل على التوحيد ، وذلك في معرض الرد على المشركين عندما أنكروا وحدانية الله بقولهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] ؛ لذلك " بدأ هاهنا بتقرير التوحيد فقال: وما من إله إلا الله الواحد القهار وفي هذه الكلمة إشارة إلى الدليل الدال على كونه منزها عن الشريك والنظير" (٤) .

لذلك جاء هنا بـــ (من) الاستغراقية للتوكيد على رد إنكارهم لوحدانية الله تعالى ، ثم جاء بعدها من الصفات التي يجب أن تكون في الإله الحق وهي صفة الواحد والقهار لتؤكد أن ليس هنالك إلا إله واحد ليس له شريك وأنه قاهر فوق عباده فلا غالب له أبدا .

١- الزركشي ، **معنى لا إله إلا الله** ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .

٢- الفراء ، يحيى بن زياد (المتوفى: ٢٠٧هـــ) ، **معاني القرآن** ، تحقيق: أحمد النجاتي وآخر ون ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، الطبعة: الأولى ، ج ١ ، ص٣١٧ .

٣- الزمخشري ، محمود بن عمرو (المتوفى : ٥٣٨هـــ) ،**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـــ ، ج ١ ، ص ٣٧٠.

٤- الرازي ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (المتوفى: ٦٠٦هـــ) ، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـــ ، ج ٢٦ ، ص ٤٠٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والموضع الثالث في قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] ، فالنصارى كانت تعتقد أن الإله " جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبًا والدًا غير مولود، وابنًا مولودًا غير والد، وزوجًا متتبَّعة بينهما " (١) ، لذا جاءت جملة (وما من إلهٍ إلا إله واحد) لتقرر أنه " لا يوجد إلهٌ ما إلا إلهٌ متصف بالوحدانية ، وهو– الله – الذي لا تركيب في ذاته ولا تعدد" (٢) ، فيصبح معنى " من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي القدرة مع «لا» التي لنفى الجنس في قولك (لا إله إلا الله) والمعنى: وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له، وهو الله وحده لا شريك له " (٣).

ويرى الزركشي أن (لا إله إلا الله) أبلغ من (وما من) المؤكدة للنفي المستغرق " لأن (لا) أقعد بالنفي العام المقصود وهو نفي الذوات ، ولمّا كان المقصود في باب كلمة التوحيد نفي ذات إله سوى الله تعالى كانت (لا) أقعد من (من) "(٤) ، بينما يرى رشيد رضا أن (وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد) ابلغ من (لا إله إلا الله) " لِأن (من) بعد (مَا) تفيد استغراق النفي وشموله لكل نوع من أنواع المتعدد وكل فرد من أفراده ، فليس ثمّ تعدد ذوات وأعيان ، ولا تعدد أجناس أو أنواع ، ولا تعدد جزئيات أو أجزاء "(٥) ، بينما يرى ابن عاشور أن النفي بـــ (لا) النافية للجنس مساوياً للنفي بـــ (وما من) الدالة على تأكيد عموم النفي إلا انه " عدل هنا عن النفي بلا التبرئة فلم يقل (ولا إله إلا إلهٌ واحد) إلى قوله : (وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد) اهتماماً بإبراز حرف (من) الدال بعد النفي على تحقيق النفي زيادة في أهمية النفي " (٦).

وكلاهما تنفي عن الله تعالى وجود الشريك والمثيل والند وما يعبد من دون الله ظلماً وبهتاناً ، لأنه تعالى المتفرد بالإلوهية ، المنزه عن صفات البشر ، وأثبتت ما أثبته الله تعالى لنفسه نقلاً وعقلاً من تفرده تعالى عن مخلوقاته ، غير أن كثرة استعمال جملة (لا إله إلا الله)

١- الطبري ، محمد بن جرير (المتوفى:٣١٠هـــ) ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق : احمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠ م ، ج ١٠ ، ٤٨٢ .

٢- رضا ، محمد رشيد (المتوفى: ١٣٥٤هـــ) ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠ م ، ج٦ ، ص٤٠١ .

٣- الزمخشري ، **الكشّاف** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٦٦٤ .

٤- أنظر –الزركشي ، **معنى لا إله إلا الله** ، مصدر سابق ، ص ٨٨ .

٥- رضا ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ٤٠١ .

٦- ابن عاشور ،محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـــ) ، **التحرير والتنوير** (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر– تونس ، ١٩٨٤ م ، ج ٦ ، ص٢٨٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدل على أنها أبلغ كما رجّح ذلك الزركشي ، إضافة إلى أن (ما) النافية تحتاج إلى (من) الزائدة زيادة في تأكيد النفي ، بينما (لا) النافية لا تحتاج إلى ما يؤكدها لقوتها في النفي . .

المطلب الثالث : مراتب كلمة التوحيد :

إن لكلمة التوحيد مراتب وطبقات (١) ، تختلف من شخص إلى آخر وهي :

المرتبة الأولى : القول باللسان ،" أن يقول الإنسان بلسانه {لا إله إلا الله} وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين فهو موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان " (٢) ، فمن قالها بلسانه فقد حقن دمه وماله ، لقول النبي -ﷺ- :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله ، فقد عصم مني نفسه وماله ، إلا بحقه وحسابه على الله " (٣) ، وهذا الحديث نصٌ صحيحٌ في أن مجرد النطق بهذه الكلمة يجعلك آمناً على نفسك ومالك ما لم تقترف ما يبيح ذلك " وفي هذا الحديث دلالة على أن الإسلام يحصل بالقول باللسان ولا يحتاج إلى معرفة الإيمان بالقلب" (٤) ، وثبت هذا من حديث أسامه بن زيد قال :" بعثنا رسول الله -ﷺ- إلى الحرقة ، فصبّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلمّا غشيناه ، قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلمّا قدمنا بلغ النبي -ﷺ- ، فقال : يا أسامه ، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ، قلت : كان متعوذاً ، فما زال يكررها ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم " (٥) ، وهذه درجة يشترك فيها جميع من نطق بها .

١- انظر- الرازي ، محمد بن عمر ، **لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات** ، عني بتصحيحه محمد بدر الدين الحلبي ، المطبعة الشرفية – مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٣هـ ، ص ١٠٠ .

٢- انظر – الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، **إحياء علوم الدين** ، دار المعرفة – بيروت ،ج ٤ ، ص٢٤٥ .

٣- البخاري ، محمد بن اسماعيل ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، كتاب الجهاد والسير ، باب : دعاء النبي -ﷺ- الناس إلى الإسلام والنبوة ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، رقم : ٢٩٤٦ .

٤- يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩ هـ) ، **مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله** ، تحقيق: عبد الهادي محمد منصور ، راجعه وقدم له: عبد القادر الأرناؤوط ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، ص٥٠ .

٥- يوسف عبد الهادي ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٤٤ ، قم : ٤٢٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرتبة الثانية : القول باللسان والإعتقاد بالقلب تقليداً فهو " موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه " (١).

المرتبة الثالثة : من جمع إلى القول باللسان والإعتقاد بالقلب ، معرفة الدلائل الإقناعية دون الدلائل اليقينية ، فكل الدلائل والشواهد قامت على إثبات وحدانيته " فكل توحيد لا يصح بشاهد فليس بتوحيد، فلا يجوز أن يكون توحيد أكمل من التوحيد الذي يصح بالشواهد، والآيات، وتوحيد القرآن من أوله إلى آخره كذلك " (٢).

المرتبة الرابعة : الذين جمعوا إلى القول والإعتقاد ومعرفة الدلائل الإقناعية معرفة الدلائل القطعية وهو "الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خاطره سوى الأحد الصمد " (٣) .

ومنهم من اضاف مرتبة أخرى وهي : " الموحد بقلبه دون لسانه، وهذا يقع من الأخرس الذي لا يقدر على النطق، والمكره على لفظ الكفر. كما قال -عز وجل-: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] " (٤).

والمستقرىء للنصوص الشرعية يجد أن مراتب التوحيد لا تخرج عن قولٍ واعتقادٍ وعمل واتباع لله ورسوله ، قولٌ باللسان لأن الله تعالى أمر نبيه والأمر للنبي هو أمرٌ للأمة فقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] ، وهذا هو الإيمان الظاهر الذي نحكم به على الآخرين من حيث الإيمان أو الكفر لقوله تعالى :

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] (٥) ، فالله تعالى ينهانا عن أن نحكم بالكفر على الآخرين من غير بيّنة ، يقول ابن عبَّاس : " حرم الله على المؤمنين أن يقولوا

١- الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ .

٢- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (المتوفى: ٧٥١هـ) ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ،دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م ، ج ٣ ، ص ٤٥٠ .

٣- النيسابوري ، الحسن بن محمد بن حسين (المتوفى: ٨٥٠هـ) ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ ، ج ٤ ، ص ٥١٧ .

٤- يوسف عبدالهادي ، **مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله** ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .

٥ – وسبب نزول هذه الاية قالَ ابْنُ عَبَّاس: " كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء: ٩٤] تِلْكَ الغُنَيْمَةُ "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمن يشهد أن لا إله إلا الله لست مؤمنا، كما حرم عليهم الميتة فهو آمن على ماله ودمه، فلا تردوا عليه قوله" (١) ، فلا نحكم بكفر من قالها ولا بنفاقه لأن علم السرائر إلى الله تعالى وحده .

أمّا المرتبة الثانية فهي الاعتقاد ، فمن اعتقد بكلمة التوحيد موقناً بها من قلبه وحبسه عن التلفظ بها حابس من مرضٍ أو خوف فلا جناح عليه لقوله تعالى :﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] ، " ويدل على ذلك حديث معاذ بين جبل قال : قال -ﷺ- : " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة "(٢) ، وآخر الكلام لا يكون متبوعاً بعمل وإنما اعتقاداً" والمقصود القلب لا اللسان، فلو قال: لا إله ومات ومعتقده وضميره الوحدانية وما يجب له من الصفات لكان من أهل الجنة باتفاق أهل السنة" (٣).

لذلك لمّا نطق عمّار بن ياسر بالكفر غير معتقد ذلك ومكرهاً عليه برأه الله تعالى من الكفر ؛ لأنه علم معنى (لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ) فمن مات وهو يعلم حقيقة لا إله إلا الله دخل الجنة "أي علما يقينا سواء قدر على الإقرار اللساني وأقر، أو لم يقدر عليه واكتفى بالقلب، أو جهل وجوبه، أو لم يطالب به، أو أتى به، إذ ليس فيه ما ينفي تلفظه به (أنه لا إله إلا الله) وهذه الكلمة علم لكلمتي الشهادة " (٤) ، إلا أنه لا يجوز كتم كلمة التوحيد لما فيه من كتم الحق وتحجيماً لنشر الدعوة إليها ؛ لأن خيرية هذه الأمة بالدعوة إليها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠] ، " تأمرونهم بالمعروف: أن يشهدوا أن

صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب:﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤] رقم : ٤٥٩١ .

١ – ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم** ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ ، ج ٣ ، ص ١٠٤٠ .

٢ – أبو داود سليمان بن الأشعث (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، **سنن أبي داود** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، ج ٣ ، ص١٩٠ ، رقم : ٣١١٦ ، صححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزياداته** ، ج٢ ،ص١١٠٥ ، رقم : ٦٤٧٩ .

٣– القرطبي ، محمد بن أحمد (المتوفى: ٦٧١هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، تحقيق :أحمد البردوني وآخرون ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، ج٢ ، ص١٩١ .

٤ – القاري ، علي بن محمد، (المتوفى: ١٠١٤هـ) ، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص١١٠ ، رقم : ٣٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، و –لا إله إلا الله – ، هو أعظم المعروف – وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب، وهو أنكرُ المنكر" (١).

فإذا ما اقترنت مرتبة القول باللسان مع الاعتقاد بالقلب كانت هذه المرتبة أعظم من المرتبة الأولى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠] فالأمر هنا جاء بالقول باللسان لا إله إلا الله ، ثم التوكل الذي هو الإعتقاد ، وإذا حقق المؤمن شرط الإيمان وهو العمل الصالح كانت هذه أعظم المراتب ؛ لأن الله تعالى في كثير من آياته يعطف العمل الصالح على الإيمان قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه:١٤] ،وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، أما من لم يقرن الإيمان بالعمل الصالح بلا علة مانعة فهذا دليل على أنه " يقولها بلسانه، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه؛ فذكر الأعمال الصالحة بعد الإيمان ليدل على أن الإيمان النافع هو الذي يكون مقرونًا بالعمل الصالح " (٢) .

وهذه الكلمة – لا إله إلا الله – لها خاصيتان : " أن جميع حروفها جوفية دلالة على الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب لا من الشفتين ، الثانية انه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى" (٣)، والمقصود بأنها جوفية أي أنها تتراوح مابين الحنجرة إلى الشفتان ، فالقلب هو مركز الإخلاص .

المطلب الرابع : شروطها :

إن كلمة التوحيد كلمة عظيمة ، فهي رسالة الله تعالى إلى جميع البشر ، وهي طريق السعادة في الدنيا والآخرة ، ومفتاح الجنة ، فمن حقق شروطها كانت له الحصن الحصين من نار الجحيم ،وهذه الشروط هي :

---

١ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص١٠٥ .

٢ – الألباني ، محمد ناصر الدين الأشقودري (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، **موسوعة الألباني في العقيدة** ، صَنَعَهُ: شادي بن محمد آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن ، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م ، ج٤ ، ص٢٩ .

٣ – انظر – الزركشي ، **معنى لا إله إلا الله** ، مصدر سابق ، ص ٨٢–٨٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : العلم بحقيقتها علماً منافياً للجهل أي :" البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده باللسان والقلب وسائر الجوارح " (١) ، قال تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد : ١٩]، فمن عرف حقيقتها عرف حقيقة الإيمان و تعلق قلبه بالله وانصرف عما سواه ، كيف لا وهو الإله المعبود الحقيق بإفراده بالعبادة ، ولهذا كان العلماء العارفين به أكثر خشية له لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] ، أيْ:" إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى –كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"(٢) .

وقد ورد في الحديث قول النبي-ﷺ -: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله ، دخل الجنة " (٣) ، علماً يفضي إلى معرفة الله تعالى معرفة يقينية في ذاته وأسمائه وصفاته ودلائل قدرته .

ثانياً : الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته ، فلابد من الإيمان الجازم بوحدانية الله تعالى وأنه الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ؛ لأن المشركين آمنوا بالله رباً ولكنهم لم يفردوه في إلوهيته فأشركوا معه الآلهة قال تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[الأعراف : ١٥٨]، الإيمان المنبثق عن عقيدة صحيحة غير مشروطة ؛ لأن الله تعالى مستحقٌ للعبودية ، لذلك لم ينفع فرعون إيمانه عندما أدركه الغرق قال تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] ؛ لأن إيمانه جاء في وقتٍ لا تقبل فيه توبة التائبين ، ففي مثل هذه الحالة لا يكون في إيمانه صادقاً مختاراً "فهناك فرق بين إيمان الإجْبار

---

١ – المعتق ، عواد بن عبد الله ، **شروط لا إله إلا الله** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة السادسة والعشرون – العددان (١٠١، ١٠٢) – ١٤١٤/١٤١٥هـ ج١ ، ص٤١٩.

٢– ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ــ مصدر سابق ، ٦ ، ص ٥٤٤ .

٣– مسلم ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)،**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم** ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، كتاب الإيمان ، باب : من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار ، ج ١ ، ص ٥٥ ، رقم : ٢٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإيمان الاختيار " (١) ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ؛ لذلك بيّن الله تعالى سبب عدم قبوله لتوبة فرعون بقوله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١] ، فلم يكن إيمان فرعون عن عقيدة يقينية وهو الذي كان يتأله على الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] ، لذلك لابد من الإيمان بأن الله تعالى هو الإله الحق الذي لا معبود سواه ، وأنه هو المتصرف في الملك وأنه الخالق البارئ المصور وانه الرازق فلا شريك له في الملك .

ثالثاً : الإخلاص ، فتوحيد الله تعالى يجب أن يكون خالصاً صافياً لا تشوبه شائبة ، ولا يصاحبه شك ، قال تعالى :﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] ، أي :"مخلصين له بالعبادة والتوحيد " (٢) ، وقال عز وجل ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البيّنة:٥] ، فشرط الإيمان بهذه الكلمة هو الإخلاص النابع من القلب عن عقيدة يقينية ، وعدم الرياء في العبادة لحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال رسول الله –ﷺ– " قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه " (٣) .

وللإخلاص فوائد جمّة منها شفاعة النبي – ﷺ– يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يوم لا يغني مولى عن مولى ، ولا تنفع شفاعة الشافعين ، لما في حديث أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه " (٤) .

١– الشعراوي ، محمد متولي (المتوفى: ١٤١٨) ، **تفسير الشعراوي – الخواطر** ، مطابع أخبار اليوم (ليس على الكتاب الأصل –المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة إو غيره ، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م) ، ج ١٠ ، ص ٦١٨٢.

٢– ابن عباس ، عبدالله بن عباس (المتوفى: ٦٨هـ)، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية – لبنان ج١ ، ص ٣٩٨.

٣– مسلم ، **صحيح مسلم** ، مصدر سابق ، كتاب الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله ،ج ٤ ، ص ٢٢٨٩ ، رقم : ٢٩٨٥

٤– البخاري ، ،**صحيح البخاري** ، مصدر سابق، ، ج ٥ ، ص ٢٤٠٢، رقم : ٦٢٠١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً :الإتباع و عدم الاستكبار: قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] ، فمن شروط لا إله إلا الله الإتباع والانقياد والخضوع لله تعالى ، وذلك بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه ، وأعظمها نفي العبودية لغير الله تعالى وإثباتها له جل شأنه ، والجد والاجتهاد في الدعوة إليه ، والابتعاد عن المحبطين والمشككين ؛ لأنه " لما كان واحدا في الإلهية فإنه يجب طاعته، ولا يجوز الإعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين " (١) ، بل يجب الإقرار بالتوحيد وعدم الاستكبار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[الصافات : ٣٥-٣٦] ؛ " ذلك لأنهم استكبروا عن الإقرار بربوبيته. ولو عرفوه لافتخروا بعبوديته قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] ، وقال تعالى : ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾ [النساء:١٧٢]، فإنّ من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعته " (٢) .

خامساً : التصديق الجازم بكل ما أخبر الله تعالى به من دلائل وحدانيته وعظيم قدرته و سلطانه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء : ٨٧] ، لذلك جاء الاستفهام الإنكاري على هؤلاء الذين ينكرون وحدانية الله تعالى وينكرون البعث والجمع والحساب ، ووصف المصدقين بالتقوى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[الزمر:٣٣] ، " فالرسل هم من جاءوا بالصدق ، والصدق هو القرآن ولا إله إلا الله ، والمصدقون هم المؤمنون "(٣) ؛ لذلك استحق هؤلاء أن يكونوا من المتقين ، وقد وعد الله تعالى الصادقين المصدقين الإنتفاع بصدقهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ

١- الرازي ،**مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ،ج ١٣ ، ص ١٠٧

٢- القشيري ، عبد الكريم بن هوازن (المتوفى: ٤٦٥هـ) ، **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)** ، تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة ، ج٣ .ص ٢٣ .

٣- انظر– الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق، ج٢١ .ص ٢٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، فقد أثابهم على صدقهم في حياتهم الدنيا وفي الآخرة جناتٍ تجري من تحتها الأنهار وأعظم من ذلك رضا الرحمن وختم ذلك بالفوز العظيم " إشارة إلى التعظيم " (١).

فمن شهد بالوحدانية صادقاً من قلبه كان جزاؤه الجنة لما ورد من حديث النبي –ﷺ– " ما من احدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، صدقاً من قلبه ، إلا حرّمه الله على النار " (٢) .

سادساً : تبليغها للناس أجمعين ، فقد أمر الله تعالى جميع الأنبياء والرسل بتبليغ وحدانية الله تعالى إلى الناس أجمعين ،﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢] ، فالله تعالى يختار من عباده من يشاء " ويأمر ذلك العبد بأن يبلغ إلى سائر الخلق أن إله العالم واحد كلفهم بمعرفة التوحيد والعبادة وبين أنهم إن فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة" (٣).

ولمّا كان النبي –ﷺ– آخر الرسل ورسالته آخر الرسالات أمره الله تعالى بتبليغ دعوته إلى الناس كافة ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وحتى يتم أمر التوحيد فلابد من التبليغ باللسان لذلك " لم يعذر الله تعالى النبي –ﷺ– في ترك التبليغ وإن خاف على نفسه الهلاك لأن الإيمان يحصل في القلب ، والتبليغ يحصل في اللسان " (٤) .

وجعل الله تعالى تبليغ دعوته مسؤولية أمة محمد –ﷺ– ؛ لأنها آخر وخير الأمم قال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ، " فالأمر بالمعروف أنهم دعوا إلى الله وحده وعبادته لا شريك له، دعاء

١- انظر– الرازي، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق، ج١٢ .ص ٤٦٩.
٢- البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق، ج١ .ص٣٧ ، رقم : ١٢٨.
٣- الرازي ، **مفاتبح العيب** ، مصدر سابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٨ .
٤- انظر– الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود(المتوفى: ٣٣٣هـ) ، **تفسير الماتريدي** (تأويلات أهل السنة) ، تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، ج٣ ، ص٥٥٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الشرك إلى الإسلام" (١) ، وهذا ما قررته السنة النبوية ففي الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو، أن النبي –ﷺ– قال:" بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " (٢) .

وجعلت أمة محمد – ﷺ– خير الأمم وذلك لأنها أخذت على عاتقها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، " والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك " (٣) ، وكذلك النهي عن كل ما يعبد من دون الله ومنها " النهي عن عبادة الأوثان والشيطان " (٤) .

وهذه الشروط ارتبطت بالآيات التي ذكرت كلمة التوحيد ، بينما هنالك شروط سبعة لكلمة التوحيد مستوحاة من آيات القرآن الكريم بشكل عام وهي: "

العلم بمقتضاها نفياً وإثباتاً و اليقين المنافي للشك وقبول مقتضاها بالقلب والإقرار باللسان والانقياد لما دلت عليه والصدق فيها المنافي للكذب و الإخلاص وتصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك ومحبة هذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه ومحبة أهلها العاملين بها ، و المحبة لهذه الكلمة و الانقياد بأداء حقوقها و القبول المنافي للرد " (٥).

ولا ينتفع بهذه الكلمة ولا يعد قائلها من أهلها إلا إذا حصّل أربعة أمور :" التصديق والتعظيم والحلاوة والحرية ، فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراءٍ ومن ليس له الحرية فهو فاجر " (٦).

فمن حقق هذه الشروط وجد حلاوة الإيمان في نفسه ، وظهرت آثارها في خلقه ، وبارك الله له في القليل من رزقه ، وأمن على ماله ونفسه ، فلا يخشى ضياع رزقٍ ولا فوت حياة ؛

١– ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم** ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٧٢٧ .
٢– البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق، ج٤ .ص١٧٠، رقم :٣٤٦١
٣– انظر– مجاهد بن جبر (المتوفى: ١٠٤هـ) ، **تفسير مجاهد** ،تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م ، ج١ ، ص ٢٥٧ .
٤– ابن أبي حاتم، ،**تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم** ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٧٢٧ .
٥– الحكمي ، حافظ بن أحمد (ت: ١٣٧٧هـ) ، **معارج القبول بشرح سلم القبول إلى علم الأصول** ، تحقيق: عمر بن محمود ، دار ابن القيم ،– الدمام ، الطبعة الأولى – ١٤١٠ هـ –١٩٩٠م ، ج٢ ن ص ٤١٨–٤٢٥.
٦– الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ،ج ٢٢ ، ص١٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأنه يعلم علم اليقين أن الذي توجه إليه هو الرازق وهو الخالق وهو المحيي والمميت ، الواحد الذي لا يغلبه ولا يقهره أحد ، الصمد الذي تقصده كل الخلائق في الحوائج .

المبحث الثاني : فضائلها ، حاجة الناس للتوحيد

المطلب الأول : فضائلها :

كلمة التوحيد لها فضائل عديدة ، لما لها من أهمية بالغة في حياة البشرية جمعاء ؛ حيث أن جميع ما جاءت به الرسالات السماوية كان قول – لا إله إلا الله – مع الإخلاص ، فلا عقيدة تصح ولا عمل يقبل ولا صلاة ترفع ولا دعاء يسمع ولا سريرة تطهر؛ إلا إذا تلفظ الإنسان بها وأدى أركانها ووفى شروطها .

فقد دلت كثير من الآيات القرآنية على فضائلها ومنها :

أولاً : أن الله تعالى شهد لنفسه بالوحدانية ، وشهد له بها الملائكة وأولوا العلم ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] ،" فشهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن خلق الدلائل الدالة على توحيده ، وشهادة الملائكة وأولي العلم عبارة عن إقرارهم بذلك " (١) وعلى هذا فإن شهادة الله تعالى هي شهادة تشريف وتفضيل .

ثانياً : أنها أساس التحاور مع أهل الكتاب : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، فقد ذكرت الآيات قواعد رئيسة في التحاور بين الأديان ، وهي : ": ألّا نعبد إلا الله وثانيها : أن لا نشرك به شيئاً وثالثها : أن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله " (٢)

١- الرازي ، المصدر السابق ،ج ٧ ، ص ١٦٨.
٢- المصدر ذاته، ج ٨ ، ص ٢٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : أنها المنجية من الخلود في النار ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن مات ولم يشرك بالله شيئاً كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ويحرم عليه النار ، قال -ﷺ- :" لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فيدخل النار او تطعمه "(١)

رابعاً : أنها المنجية من الكروب ، من دعا بها خالصاً من قلبه متوجهاً إلى الله متيقناً بالإجابة ، فرّج الله كربه وأزال همه وها هو نبي الله يونس يدعو بها ربه فينجيه من الظلمات ، قال تعالى :﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] ، وقد دل على ذلك حديث ابن عبَّاس رضي اللَّه عهما، قال: كانَ النَّبي -ﷺ- يقول عند الكرب : لا إله إلا الله العليم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم " (٢) .

خامساً : كلمة التقوى :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ ﴾[الفتح: ٢٦] ، وعن ابن عباس قوله : {وألزمهم كلمة التقوى} قال : يقول : شهادة أن لا إله إلا الله ، هي راس كل تقوى ، وعن سعيد بن جبير: {وألزمهم كلمة التقوى} قال: لا إله إلا اللَّه والجهاد في سبيله وعن عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وعن قتادة: {وألزمهم كلمة التقوى} قال : لا إله إلا الله " (٣)

سادساً : هي العروة الوثقى : .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٦] ، قال

١- مسلم ، **صحيح مسلم** ، مصدر سابق، ج١ ، ص ٦١ ، رقم : ٣٣ .
٢- البخاري ، **صحيح البخاري**" ، مصدر سابق، ج٩ ، ص١٢٦ ، رقم : ٧٤٢٦.
٣- ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص٣٤٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير والضحاك أن المقصود "بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ" يعني لا إله إلَّا اللَّه" (١)

وهذه الفضائل ارتبطت بكلمة التوحيد في القرآن الكريم ، وهنالك الكثير من الفضائل استنبطت من القرآن الكريم والسنة النبوية يصعب حصرها ؛ لأن هذه الكلمة هي الخير كله وهي الفضيلة ذاتها ، وهنالك بعض المؤلفات التي تناولت فضائل – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم والسنّة النبوية مع بعض الفروق في المسميات ، فبعضهم سماها فضائل – لا إله إلا الله – (٢) ، والبعض سماها – أسماء كلمة التوحيد (٣) ، وهي وإن اختلفت مسمياتها عند الفريقين إلا أنها تحمل نفس المعنى.

المطلب الثاني : حاجة الناس إلى التوحيد :

لمّا كانت دعوة الرسل قائمة على التوحيد ، لامست هذه الدعوة فطرة بعض الذين وجدوا ضالتهم ، وحاجتهم من خلال هذه الدعوة، التي تخرج أي مخلوق من دائرة العبودية للعبيد ، ففي كل آية من آيات التوحيد تطهير للنفوس مما علق بها من ذل العبودية لغير الله تعالى وهي " عبارة عن إعتاق الإنسان من رق العبودية لكل أحد من البشر، وكل شيء من الأشياء السماوية والأرضية، وجعله حرا كريما عزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة إلا لمن خضعت لسننه الكائنات، بما أقامه فيها من النظام في ربط الأسباب بالمسببات " (٤) .

لذا كانت حاجة النفس البشرية إلى التوحيد تنطلق من عدة دواعي ومن أهمها :

أولاً : الدواعي الدنيوية :

١– الحاجة النفسية : حيث أن النفس البشرية تحتار في كنه المجهولات ، وتكثر من التساؤل والتأويلات ، تبحث عن الراحة النفسية والطمأنينة في هذه الحياة ، لتأمن عليها بعد الممات ، فانطلقت تتفكر وتتدبر في أسرار هذا الكون وآياته إلى إن تصل إلى معرفة تامة يقينية ، وعلم قاطع لا يساوره شك ، أن إله هذا الكون ومدبره واحد قادر مريد ، منزه عن النقائص ومبرأ عن الشريك ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] ، ويكون العلم بوحدانية الله تعالى من

١– المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٦٨٤ .

٢– الأهدل ، أحمد بن يوسف بن محمد ، **تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله** ، مراجعة وتقديم: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

٣– الرازي ، محمد بن عمر(ت : ٦٠٦) **لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات** ، مصدر سابق ، ص ١٠٣–١١٢ .

٤ – رضا ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال " تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والعلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالإلوهية، والعلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له " (١).

وكلما استسلمت القلوب لله تعالى وتوجهت إليه في جميع حالاتها تحصل السكينة في القلب " كما أن في ذلك أعظم لذة فليس في الكائنات شيء غير الله عز و جل يسكن القلب إليه ويطمئن به ويأنس به ويتنعم بالتوجه إليه ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته وهو بمنزلة أكل الطعام المسموم اللذيذ" (٢).

والتوحيد فيه احترام للعقل ، فهو يحرر العقل من التبعية والجمود ، وذلك بإتباع الحق بالحجة والبراهين ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤] ، فالبيّنة من الله أقوى ، سواء الكونية أو النفسية ، فأين بينة فرعون عندما تأله على الله وزعم الإلوهية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ [القصص: ٣٨] ، لم تكن بينته إلا أنه استخف عقولهم فاتبعوه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤] ، لهذا كان النبي -ﷺ- يأمل من أصحاب العقول المستنيرة أن يسارعوا إلى الإسلام ، فقال لخالد بن الوليد يوم إسلامه " الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير" (٣) .

وبعد أن علمت النفس بوحدانية الله تعالى ، من خلال النظر في أسمائه وصفاته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [طه: ٨] وتفرده بتدبير شؤون خلقه ، وأنه المتفضل على خلقه بالنعم ؛ تحقق لها الراحة النفسية ، حيث وجدت لكل سؤال جواب ، وأمنت المجهول الذي كانت تخافه لعدم معرفتها به ، فاطمأنت لمسيرتها في هذه الحياة وتوصلت إلى أن بعد الممات

---

١ – السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ،ج ١ ، ص٧٨٧ .

٢ – ابن قيم الجوزية ، **إغاثة اللهفان** ، مصدر سابق ، ص٣٠ .

٣– البيهقي ، أحمد بن الحسين (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ ،ج ٤ ، ص ٣٥١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حياة دائمة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧] ، وهذه الحياة لا تعب فيها ولا نصب ، لمن حقق شروط كلمة التوحيد ، فزالت عنها الغمة وتجلت لها أنوار الحق بعد الظلمة .

٢- **الحاجة إلى الأمن :** والأمن من أساسيات العيش الكريم لكل المجتمعات ، تطلبه الفطرة السليمة وتقاتل دونه ، فمن علم أن معبوده الذي يعبده لا يظلم ولا يفتري ولا يستبد ، أمن على نفسه من البطش والظلم وسوء المعاملة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلٗاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] ،" فلا يستوي عبد مملوك لعدة أسياد يتجاذبونه؛ لأنهم متشاكسون مختلفون يحار فيما بينهم، إن أرضي هذا سخط ذاك. هل يستوي وعبد مملوك لسيد واحد؟ إذن: فمما يحمد الله عليه أنه إله واحد" (١) .

ولا يكون الأمن إلا ممن له القدرة والإرادة والقوة لذلك لمّا عرف موسى -عليه السلام- حقيقة الله تعالى وأنه قادر عزيز لا يعجزه شيء اخترق البحر بلا تردد ، بينما قال الذين في قلوبهم شيء : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] ، فقال موسى -عليه السلام- مقالة الواثق بأن إلهه هو الإله الحق وأنه القادر على كل شيء المجير لمن استجار به قال : ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] ، فارتد فرعون بعد أن أدركه الغرق إلى فطرته التي تذعن بأنه لن ينجيه من هذا الغرق إلا الإله الحق إله موسى وإن كان إيمانه إيمان المجبر بلا اختيار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[يونس: ٩٠]، والمؤمن متى عرف الله تعالى وآمن بإلوهيته تحقق له الأمن، فلا يخاف ولا يخشى إلا الله .

ومتى تحققت دواعي الأمن للأفراد نشأ عنها أمن المجتمعات فقد وعد الله تعالى الذين آمنوا به ولم يشركوا معه احداً بالأمن ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] ، فالتوحيد شرط في التمكين

١- الشعراوي ، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، مرجع سابق ، ج١٥ ، ص٩٠١٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمن ؛ لأن من خاف الضعيف هان عليه واستضعفه كل شيء ، فهو يتقلب بينهم لا يأمنهم أبداً لأنه لم يحقق شرط التمكين والأمن ، لذلك فإن من عرف ربه وأنه واحد لا شريك له توكل عليه ومن توكل على الله فلا يخشى أحداً ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠] .

٣- **الحاجة إلى الثقة بالمعبود :** والثقة هي الأساس في التعامل، فمتى استشعر العبد بأن هذا الإله الذي يعبده هو واحد لا شريك له ولامثيل ولا ند ، ولا غالب ولا قاهر له ، استشعر عظمته وأيقن انه المستحق لعبوديته ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] ، فقد بيّن الله تعالى سبب نفي تعدد الآلهة ؛ بأن ليس لها من صفات الإلوهية شيء " وجملة كل شيء هالك إلا وجهه علة ثانية للنهي لأن هلاك الأشياء التي منها الأصنام وكل ما عبد مع اله وأشرك به دليل على انتفاء الإلهية عنها لأن الإلهية تنافي الهلاك وهو العدم " (١).

وقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً يبين فيه المفارقة بين من أشرك وبين من هداه الله إلى التوحيد ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت:٤١] ، فبيت العنكبوت لا يدفع" عنها الحرّ والبرد ولا يحتمل مسّ أدنى الحيوانات وأضعف الرياح ، والغرض من التشبيه هو تقرير وهن دينهم لأن أولياءهم بمنزلة نسج العنكبوت في ضعف الحال وعدم الصلاحية للاعتماد ، وقوله لوْ كانُوا يَعْلَمُونَ إيغال في تجهيلهم "(٢) .

ولمّا تبين ضعف المعبودات الباطلة ، دعت الحاجة إلى إله تثق المخلوقات بقدرته يكون متفرداً عن غيره قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣] ، يقول الحق تبارك وتعالى" إن هذه الآلهة الباطلة لا يستطيعون إن يخلقوا فرادى أو

---

١ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مصدر سابق ، ج ٢٠ ، ص١٩٧ .

٢– انظر –القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، **محاسن التأويل** ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ، ج ٧ ، ص٥٥٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجتمعين ذباباً ، وقد أكد النفي بـ لن والمضارع للدلالة على نفي الفعل حاضراً و مستقبلاً ، وكذلك لو سلبهم الذباب على صغر حجمه وحقارة مكانته شيئاً لايستنقذوه منه " (١) .

ولهذا فإن الموحد عنده ثقة يقينية بالله تعالى بعدما تبين له بالدليل القاطع أن لله من أسمائه وصفاته ما يدل على تفرده عن الخلائق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢] لذلك فهو " لا يتوجه إلا إلى الله ولا يدعو إلا إياه ولا يتقرب لغيره، لعلمه أنه وحده المعبود الحق واهب الكرامة الحقة " (٢) ، وهو العادل الذي لايظلم عنده أحد ؛ لأنه أحكم الحاكمين وخيرهم ولأنه حرّم الظلم على نفسه كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤] ، وفي الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي-ﷺ- فيما روى عن الله تعالى أنه قال " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم يَا محرماً فلا تظالموا " (٣).

٥- **الحاجة إلى الرزق :** والرزق هو عماد الحياة وعصب العبادة ، به يتقوى العبد ليؤدي العبادة على أتم وجه ؛ لهذا تكفل الله تعالى بالرزق ولم يوكله إلى أحدٍ من مخلوقاته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣] ، وهنا دعوة إلى النظر في نعم الله بصيغة الإستفهام زيادة في تأكيد النفي " لأنه لو كان خالقاً غيره لكان رازقاً إذ الخلق بدون رزق قصور في الخالقية ؛ لأن المخلوق بدون رزق لا يلبث أن يصير إلى الهلاك والعدم فيكون خلقه عبثاً ينزه عنه الموصوف بالإلهية المقتضية للحكمة ، فكانت الآية مذكرة بنعمتي الإيجاد والإمداد " (٤).

١- انظر – النسفي ، عبد الله بن أحمد النسفي(المتوفى: ٧١٠هـ) ، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ، ج٢ ، ص٤٥٥ .

٢- ملكاوي ، محمد أحمد محمد عبد القادر ، **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم** ، مكتبة دار الزمان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص١٣١ .

٣- مسلم ، **صحيح مسلم** ، مصدر سابق ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ج ٤ ، ص ١٩٩٤ ، رقم : ٢٥٧٧ .

٤- ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج٢٢ ، ص٢٥٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإنسان بحاجة إلى أن يكون رزقه بيد إله واحد ، الخلق عنده سواء يقسط في توزيع الرزق ، لايظلم ولا يحابي ولا يجور بعكس الخلق الذين تحكمهم المصالح والقرابة والرغبات ؛ لكي يكون عزيز النفس محفوظ الكرامة ؛ لذلك دعت الحاجة إلى التوحيد قال تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ " إذْ رتب على إنفراده بالخالقية والرازقية إنفراده بالإلهية ؛لأن هذين الوصفين هما أظهر دلائل الإلهية عند الناس "(١).

٦- **الحاجة إلى العفو والرحمة :** والخلق جميعاً ليسوا معصومين عن الخطأ والنسيان ، واقتراف المعاصي ، ولمّا كان الخطأ وارد كان الجزاء من جنس العمل بحثت النفس عمن يغفر لها الزلات ، ويكفر عنها الذنوب ولا ياخذها بذنبها على عجل ، فلم تجد من البشر من يتمتع بهذه الصفات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، والرحمة صفة لله تعالى وهي" عبارة عن التخليص من أنواع الآفات ، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات " (٢) ، فلا راحم بحقٍ إلا الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣] ، الذي إذا أخطأ عبده أمهله ، وإذا تاب قبل توبته فالعبد محتاج إلى من يرحمه ويغفر له فإذا ما عرف أن هذا الفعل لا يكون إلا من الواحد الذي صفته الرحمن الرحيم لجأ إليه كما فعل يونس -عليه السلام- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧] ، فنجّاه الله من الكرب وتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم.

ورحمة الله تعالى للبشر هي مصلحة خالصة للبشر ليس لله فيها نفع ولا مصلحة وذلك لكي" لا تتعدد آلهة البشر في البشر ويرهق الإنسان ويشقى من كثرة الخضوع لكل من كان قويا عنه، فأعفاك الله من هذا وأوضح لك: لا، اخضع لواحد فقط يكفك كل الخضوع لغيره، واعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه، وفي ذلك راحة للمؤمن "(٣)

١- ابن عاشور ، المصدر السابق ، ج٢٢ ، ص٢٥٥ .

٢- الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٤ .

٣- الشعراوي ، **تفسير الشعراوي - خواطر** – مرجع سابق ، ج ٤ ، ص٢٣٠٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد أن علمت من خلال النظر أن لهذا الكون إله واحد ، يتصف بصفات العظمة وأنها تتصف بصفات النقص والضعف ، سلّمت وانقادت له لحاجتها إليه ؛ لأن كل المخلوقات فقيرة إلى الله تعالى ، ترجوه في الشدة واللين ، فهو وحده القادر على أن يجيب السائل ويدفع الضر ، فمن سأل غير الله " فهو كاستغاثة العدم بالعدم؛ فإن المستغاث به إن لم يخلق الحق فيه قوة وحولا وإلا فليس له من نفسه شيء، قال سبحانه:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٥٥]"(١) .

٧- الحاجة إلى انتظام نظام الحياة :

فالإنسان يعيش في هذا الكون المكون من السموات والأرض وما فيهن من عوالم ، ولكي يستطيع العيش على ظهر هذه الأرض لابد أن يستقيم أمر الحياة فلا تعارض في النظام الكوني لحركة الشمس والقمر والكواكب ونزول الغيث من السماء وخروج الزرع من الأرض وكمية الأوكسجين المبثوثة في الفضاء ، وهذا كله يحتاج على أن يكون القادر والمسيّر والمتحكم بهذا هو إله واحد ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات هو وحده القادر على تسيير أمور الكون بدقة متناهية وبلا تعارض أو خلل لذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢] ، " فلا يجوز أن يكون في السماوات والأرض آلهة متعددة بل لا يكون الإله إلا واحدا وهو الله سبحانه ، ولا صلاح لهما بغير الوحدانية ، فلو كان للعالم إلهان ربان معبودان لفسد نظامه واختلت أركانه ، " (٢) .

فأساس قيام الخلق وبقاء السماوات والأرض هي وحدانية الله وانفراده عمن سواه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ

١- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، **قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة** ، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص٨٦ .

٢- الرضواني ، محمود عبد الرازق ، **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة** ، محاضرة ٣٢ ، ص ٧١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١] ، فلو كان هنالك إله مع الله تعالى " إذن لاعتزل كل إله منهم (بِمَا خَلَقَ) من شيء، فانفرد به، ولتغالبوا، فلعلا بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها " (١) ، ولو قدّر ذلك لاستبد القوي على الضعيف وتميّز ملكه عن ملك الضعيف ، وأصبح نظام الحياة معطلاً بسبب تعارض الأحكام والمقادير لكلا الإلهين " وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء " (٢).

ثانياً : الدواعي الأخروية :

وبعد أن علمت النفس البشرية حاجتها للتوحيد ليلبي لها حاجاتها التي تفتقر لها في الحياة الدنيا من الخيرات الجسمانية ، تأكد لها أن هذه الحياة غير منقطعة عن حياة أخرى غير هذه الحياة ، وأن بعد الموت بعث وبعد البعث جزاء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧] ، وأنها تحتاج فيها ما يناسبها في تلك الدار من الخيرات والحاجات الروحانية ، وأول ما تأنس به هذه النفس العدل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧] ، فمطلق العدل الإلهي أن يكون هذا اليوم – يوم الجزاء– ففيه " يثاب كل عامل بعمله، فيلاقى أجره، ففاعل الخير يجزى الخير وفاعل الشر يجزى بما يستحق، لا يبخس أحد ما استوجبه من أجر عمله في الدنيا فينقص منه إن كان محسنا، ولا يحمل على مسيء إثم ذنب لم يعمله " (٣) .

ومما يزيد النفس بهجة وسروراً أن الله تعالى حرّم الظلم على نفسه وبيّن طريقة حسابه فقال " يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه "(٤) .

١- الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٩ ، ص٦٦ .
٢- الزمخشري ، **الكشّاف** ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص٢٠٠ .
٣- المراغي ، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، **تفسير المراغي** ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ، ج ٢٤ ، ص٥٥ .
٤- مسلم ، **صحيح مسلم** ، مصدر سابق ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ج ٤ ، ص ١٩٩٤ ، رقم : ٢٥٧٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا ما حققت النفس البشرية خالص التوحيد لله تعالى وتبرأت مما نُسب إليه ظلماً تحقق لها ما تأمله في الحياة الآخرة من العفو والمغفرة ودخول الجنة والنجاة من النار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٨]، فالتوحيد هو سبب الراحة الأبدية في الدنيا والآخرة وسبب دخول الجنان ورضا الرحمن ، لحديث معاذ بن جبل قال : قال النبي -ﷺ-:« يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ ، قال : الله ورسوله أعلم ، قال :أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه ؟ ، قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم " (١) .

ومن تحقق لها العدل في الحساب وجدت ما وعدت من خيرات النعيم في الجنان والنظر إلى وجه الرحمن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] ، وهذا التكريم يدعو إلى أن تكون الآخرة مطلبهم وغايتهم " فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي:حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم " (٢) ، لذلك كان أصحاب النفوس التي تتوق إلى الحاجة الأخروية زاهدة في دنيا الملذات ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، جعلوا الدنيا مطية للوصول للآخرة ؛ وذلك لأنهم عرفوا معنى لا إله إلا الله .

١- البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص١١٤ ، رقم : ٧٣٧٣ .

٢- السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٨٩٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول : ورود لا إله إلا الله في القرآن الكريم ، صيغها ،القضايا التي عالجتها.

المبحث الأول : ورودها في القرآن الكريم .

المطلب الأول : ورودها في الآيات المكية .

وردت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم أربعين مرةً في تسعةٍ وثلاثين موضعاً ، منها أربعٌ وعشرون مرةً في الآيات المكية في أربعةٍ وعشرين موضعاً ، وفي ما يلي مواضعها في الآيات المكية

١- ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٢- ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٠٦].

٣- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

٤- ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

٥- ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[هود: ١٤].

٦- ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

٧- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨].

٨- ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩-﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨].

١٠- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥].

١١- ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

١٢- ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون :١١٦

١٣-﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل : ٢٦].

١٤-﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠].

١٥- ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨].

١٦-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[فاطر : ٣].

١٧- ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات : ٣٥].

١٨-﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥].

١٩-﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[الزمر : ٦].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٠-﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

٢١- ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [غافر:٦٢].

٢٢-﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٥].

٢٣- ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان : ٨].

٢٤-﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾[المزمل : ٩].

والمستقرئ لكلمة التوحيد في القرآن الكريم يجد أن ورودها في السور المكية أكثر منها في السور المدنية ؛ وذلك لأن العهد المكي هو أول الدعوة حيث كانت الدعوة موجهة إلى ترسيخ عقيدة التوحيد عند قريش التي كانت تشرك مع الله الآلهة اعتقاداً منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وقد مكث النبي – ﷺ– يدعوهم إلى – لا إله إلا الله – ثلاثة عشر سنة ، واجه ما واجه من بني قومه دفاعاً عن آلهتهم المزعومة ؛ لذلك كانت آيات التوحيد تتنزل عليهم المرة تلو الأخرى حتى تستأصل منهم عقيدتهم الوثنية .

المطلب الثاني : ورودها في الآيات المدنية :

وردت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في القرآن الكريم ست عشرة مرةً في الآيات المدنية في خمسة عشر موضعاً ، حيث ذكرت مرتين في آيةٍ واحدةٍ في سورة آل عمران في الآية رقم (١٨) ، وفي ما يلي مواضع ورودها :

١- ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة ١٦٣].

٢-﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣-﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[آل عمران :٢].

٤-﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[آل عمران : ٦].

٥-﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران ١٨].

٦-﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦٢].

٧-﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[النساء:٨٧].

٨-﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣].

٩-﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

١٠-﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩].

١١-﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٠].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢-﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد : ١٩].

١٣-﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحشر ٢٢].

١٤-﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الحشر : ٢٣].

١٥ -﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن : ١٣].

وورودها في العهد المدني الذي هو مرحلة تأسيس دولة الإسلام وترسيخ شريعتها للتأكيد على وحدانية الله وتنقية عقيدة الناس مما شابها ، خصوصاً وأن مجتمع المدينة كان يتواجد فيه اليهود جنباً إلى جنب مع المسلمين ، وكذلك انفتاح المجتمع المدني على الديانات الأخرى كالنصرانية التي كانت تعتقد عقيدة التثليث ،وكذلك تواجد المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر والكيد للإسلام ، كل ذلك دعا إلى التذكير بوحدانية الله تعالى .

المبحث الثاني : صيغها في القرآن الكريم

المطلب الأول : صيغة ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب

وردت كلمة التوحيد بصيغ ضمائر مختلفة في القرآن الكريم منها :

١- **صيغة ضمير المتكلم –أنا** – نحو ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ حيث وردت ثلاث مرات (١) ، وضمير المتكلم أنا هو من اعرف الضمائر؛ لأنه يشير إلى ذات المتكلم وهو أعرف بنفسه ، وفي ذلك يقول الرازي :" اعلم أن الأسماء المضمرة ثلاثة أنا وأنت وهو وأعرف الأقسام الثلاثة قولنا أنا لأن هذا اللفظ لفظ يشير به كل أحد إلى نفسه وأعرف المعارف عند كل أحد نفسه" (٢).

---

١ – النحل ٢ / طه ١٤ / الأنبياء ٢٥.

٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ،مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضمير المتكلم – أنا – " هو ما كُني به عن الظاهر اختصاراً ، ومع كونه يدل على الظاهر اختصاراً فهو أدل على المقصود من الاسم الظاهر" (١)، وهذا الضمير مقتصر القول به على الله تعالى ، أو من يتكلم به عن الله تعالى "أما قوله لا إله إلا أنا فهذا الكلام لا يجوز أن يتكلم به أحد إلا الله أو من يذكره على سبيل الحكاية عن الله لأن تلك الكلمة تقتضي إثبات الإلهية لذلك القائل وذلك لا يليق إلا بالله – سبحانه " (٢) .

وهذا الضمير الذي يدل على الاختصار إنما دل على العظيم المعروف بالفطرة ، فلا يجهل به جاهل ولا ينكره منكر ، كيف لا والذي يتحدث به هو الغالب على أمره المتصرف في شؤون عبادة ، ويظهر ذلك من خلال تتبع آيات الوحدانية التي ذكرت بصيغة (أنا) ،قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]

حيث ذكر المولى نفسه العلية بصيغة ضمير المتكلم لأن الله هو الأعلم والأعرف بنفسه ومن ثم المخاطب وهم الأنبياء يعلمون علم اليقين بالإله الذي بعثهم برسالة الوحدانية .

وفي سورة طه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤]، فقد سبق هذه الآية التعريف بالله تعالى ، فهو الذي خلق السموات العلى وهو الذي على العرش استوى ، وهو الذي يعلم السر وأخفى ، وهو الذي له الأسماء الحسنى ، ثم اختصر المولى – ﷻ – هذا التعريف بصيغة ضمير المتكلم الدالة عليه في أعظم صوره .

وفي سورة الأنبياء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥]، لما كان الأنبياء السابقين على علم ومعرفة تامة بالله تعالى جاء الخطاب مختصراً بضمير المتكلم الذي يدل على عظمة الله تعالى .

---

١ – ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، **شرح ألفية ابن مالك** ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net ، ج٩ ، ص ٨ .

٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- **صيغة ضمير المخاطب** (أنت) ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وردت مرة واحدة في القرآن في آية سورة الأنبياء، وتأتي بالمرتبة الوسطى بين الضمائر دلالة ، قال الرازي : " أوسط هذه الأقسام قولنا أنت لأن هذا خطاب للغير بشرط كونه حاضرا فلأجل كونه خطابا للغير يكون دون قوله أنا ولأجل أن الشرط فيه كون ذلك المخاطب حاضرا يكون أعلى من قوله هو " (١) ، والخطاب بهذا الضمير يأتي بعد الضمير (أنا) لأن هذا الخطاب يكون بدون وساطة ما بين المتكلم والمُخاطب ، مع شرطية أن تكون ماهية المُخاطب حاضرة في ذهن المتكلم ، وقد بيّنت هذه الآية أن الضمير (أنت) بغاية القوة لأن يونس -عليه السلام- كان في غاية الضعف والحاجة ، حيث كان يعاني من ظلمات ثلاث " ظلمةُ الليل وظلمةُ البحر وظلمةُ بطن الحوت " (٢)، فكان توجهه إلى الله بالضمير أنت المشتمل على جميع عوامل القوة التي يحتاجها المستضعف المستغيث من صاحب القوة والحاجة .

٣- **صيغة ضمير الغائب (هو)** ويشير إلى المفرد الغائب في حق الذوات ولكن في حق الذات العلية فإن النفس تستلهم منها سر المعرفة الإلهية من خلال الغوص في ما دل على وحدانية الله تعالى نحو قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ حيث وردت بهذه الصيغة سبعة عشر مرة في الآيات المكية ، واثنا عشر مرة في الآيات المدنية (٣) وهي أدنى أقسام الإضمار ، وللفظ (هو) أسرار عجيبة وفوائد كثيرة منها : " أن العبد إذا خاطب المولى- ﷻ- احتقر ذاته وقدّس ذات الله تعالى، وفيها إقرار من العبد أن ما سوى الله تعالى عدم ، وإن العبد إذا قال يا هو استغرق في معرفة الله تعالى فيحصل في قلبه نور ذكره " (٤) .

ففي كل آية جاءت بضمير الغائب – هو- سُبقت بما يدل على عظمة هذا الخالق المعبر عنه بهذا الضمير لاستحضار ذات الله العلية من خلال الشواهد الحية على وحدانيته تعالى ففي

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٢٣ .
٢ – الزجّاج ، **معاني القرآن وإعرابه** ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٠٣ .
٣ – وردت في السور المكية في سورة الأنعام : ١٠٢ ، ١٠٦– الأعراف ١٥٨ – هود :١٤ – طه :٨، ٩٨ – المؤمنون :١١٦ - النمل : ٢٦ - القصص: ٧٠ ، ٨٨ - فاطر :٣ - الزمر :٦ - غافر : ٣، ٦٢، ٦٥ - الدخان: ٨ - المزمل :٩- وفي السور المدنية في : البقرة:١٦٣،٢٥٥ – آل عمران : ٢ ، ٦، ١٨ – النساء : ٨٧ – التوبة : ٣١ ، ١٢٩ – الرعد :٣٠ – الحشر : ٢٢، ٢٣ – التغابن : ١٣ .
٤ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ – ١٢٨باختصار .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إطلاق لفظة هو تستغرق النفس في معرفة حقيقة الذات ، وتتجلى لها من الأنوار الخفية ما يجعل هذا الإله حقيقٌ بإفراده بالعبادة .

وللرازي كلام جميل في تفسير الضمير (هو) إذ يقول :" إنا وإن عرفنا أن الهاء حرف حلقي ؛ لكن مخرجه على التعيين غير معلوم البتة ، فهذا الحرف الذي وضع لتعريف الحق سبحانه وتعالى مخرجه غير معلوم وكيفيته غير معلومة ؛ فذات الله تعالى أولى أن يكون منزهاً عن الكيفية والأينية " (١) والمقصود بالأينية : أي المكانية .

٤- **الإسم الموصول :** – الذي – نحو قوله تعالى :﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا وَعَدۡوًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠] ، وقد عبّر باسم الموصول – الذي – الذي يدل على الإبهام ويحتاج إلى ما يبينه ، " فكأنه اعترف بأنه لا يعرف اللّه ، إلّا أنه سمع من بني إسرائيل أن للعالم إلهاً ، فهو أقر بذلك الإله الذي سمع من بني إسرائيل أنهم أقروا بوجوده ، فكان هذا محض التقليد ، فلهذا السبب لم تصر الكلمة مقبولة منه "(٢) ، ولم تذكر بهذه الصيغة إلا مرة واحدة على لسان فرعون الذي تأله على الله وأدعى الإلوهية .

لذلك لم تقبل توبة فرعون الذي لم يستحضر عظمة الخالق ، وأنكر معرفته رغم وجود الآيات البيّنات والرسل الذين جاءوا بدعوة التوحيد ، وإنما اكتفى بقوله ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، وكيف تقبل توبته وقد تفرق بنو إسرائيل شيعاً في إيمانهم ، فمنهم من كان على الهدى ومنهم من كان على الضلال ، وكيف تقبل ولم يكن في هذا الخطاب أدبٌ مع الله تعالى وصدق الشاعر – أبو العتاهية – .حينما أنشد :

فوا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

---

١ – الرازي ، **لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات** ، مصدر سابق ، ص ٧٨ .
٢ – الرازي ، المصدر السابق ، ج١٧ ، ص ٢٩٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي كـــل شيء له آيـــــــــــــة تدل على أنه واحـــد (١) .

وكيف يعتقد أن فرعون يجهل وحدانية الله تعالى وقد جاءه موسى وهارون بتسع آيات بينات ، فما زاده ذلك إلا استكباراً ، فحشر قومه ونادى بهم أنا ربكم الأعلى ، ومن خلال وردودها في هذا السياق لوحده فإن هذه الكلمة لا يليق أن يخاطب الله تعالى بها ، لأن كل شيء في الوجود يشهد بوحدانية الله تعالى ويعرف الله حق المعرفة ، سواء الموحد أم غيره ؛ لأنهم في لحظة الضعف يلجأون إلى الله بفطرتهم بلا تردد .

المطلب الثاني : صيغة الإسم الظاهر(العلم) - الله-

وردت صيغة الإسم الظاهر – الله – في القرآن الكريم أربع مرات في أربع مواضع :

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥] .

٢- قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥].

٣- قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢]

٤- قال تعالى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

واختلف المحققون في هذا اللفظ هل هو اسم علم أم مشتق فمنهم من قال أنه غير مشتق بل هو اسم انفرد الحق سبحانه وتعالى به كأسماء الأعلام ، ومنهم من قال أنه مشتق (٢) ، وقد دلل الرازي بأدلة من الكتاب والسنّة على أن لفظ الجلالة – الله – اسم علم للذات غير مشتق ومن الأدلة في القرآن الكريم :" قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ

---

١ – أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم (المتوفى: ٢١٠ هـ) ، **ديوان أبي العتاهية** ، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ ، ص ١٢٢.

٢ – القائلون بأنه علم غير مشتق وهم : الشافعي وأبي حنيفة والحسين بن الفضل البجلي والقفال والشاشي وأبي سليمان الخطابي وأبي يزيد البلخي والشيخ الغزالي ومن الأدباء الخليل وسيبويه والمبرد ، وأما القائلون بأنه مشتق فهم جمهور المعتزلة ، انظر – الرازي ، **لوامع البيّنات** ، ص ٨٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣] ، فقد أضاف الأسماء الحسنى جميعها إلى الإسم ؛ لأن اسم (الله) دال على جميع الأسماء والصفات ؛ " لأنه دال على إلوهيته المتضمنة لصفات الكمال ، المنزه عن التشبيه والمثال والعيوب والنقائص ، لذا يقال : الرحمن والرحيم والقدوس والسلام من أسماء الله ولا يقال (الله) من أسماء الرحمن " (١) .

ومن الخبر فقول النبي –ﷺ– : " إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة " (٢) ، وأما العرف " فيقال الملك القدوس السلام من أسماء الله ولا يقال الله اسم للملك الخالق البارئ " (٣) .

ويأتي العلم في الدلالة في المرتبة الثانية بعد الضمائر ، ويستثنى من ذلك لفظ الجلالة – الله – فهو أعرف المعارف ، " فإذا قلت: الله ربي، الله ربنا، لا يمكن أن يتخيل الإنسان سوى الله عز وجل، فلهذا قالوا: إن العلم الذي هو اسم الله عز وجل هو أعرف المعارف؛ لكن علم غيره يأتي في المرتبة الثانية " (٤) ، والعلم أعرف المعارف وذلك لأنه لا يحتاج إلى قرائن تدل عليه .

واسم العلم – الله– هو أعظم أسماء الله تعالى وفي ذلك قال الغزالي :" اعلم أن هذا الإسم أعظم أسماء الله عز وجل التسعة والتسعين ؛ أنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء ، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علمٍ وقدرة أو فعل أو غَيره ولأنه اخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً " (٥) .

وقد ذكر المولى تعالى اسم العلم – الله – في المواضع التي أنكروا فيها الوحدانية ، وجعلوا له الشريك في الملك ؛ ليذكرهم بحقيقة الإله الذي لم يتجرأ أحدٌ منهم أن يسمي إلهةُ أو

---

١ – ابن قيم الجوزيه ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٣٦ .
٢ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص١١٨ ، رقم ٧٣٩٢ .
٣ – انظر – الرازي ، **لوامع البيّنات** ، ص٨١ .
٤ – ابن عثيمين ، **شرح ألفية ابن مالك** ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص٣ .
٥ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ١٤٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحد من أبنائه بهذا الإسم ، حتى أنهم أقروا بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله ؛ فكيف يستكبرون عن الإذعان بوحدانيته .

وأما ذكر لفظة (واحد) بعد لفظة إله فقد وردت في أربعة عشر موضع في القرآن الكريم (١) منها قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، وفيها الدعوة إلى معرفة صفات الإله الواحد الذي من صفته الرحمة الدائمة لجميع الخلائق ؛ لأنه قادر على أن يهبها إلى من يشاء من خلقه لا ينازعه فيها ولا يعارضه أحد فتبين أنه إله واحد " ومعناه أنه واحدٌ في الإلهية ؛ لأن ورود لفظ الواحد بعد لفظ الإله يدل على أن تلك الوحدة معتبرة في الإلهية لا في غيرها ، فهو بمنزلة وصف الرجل بأنه سيّدٌ واحد ، وبأنه عالمٌ واحد "(٢) .

ثم جاءت تعالج قضية فساد عقيدة النصارى وحصر الإلهية في إله واحد ، وتبين حكمهم وحكم من يتبنى نهجهم قال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] ،" وقوله : إلا إلهٌ واحدٌ"يفيد حصر وصف الإلهية في واحد لانتفاء التثليث المحكي عنهم ، وأما تعيين هذا الواحد من هو ، فليس مقصوداً تعيينه هنا ؛ لأن القصد إبطال عقيدة التثليث فإذا بطل التثليث ، وثبتت الوحدانية تعين أن هذا الواحد هو الله تعالى "(٣) ، فالكفر هو حكمهم والنار هي مصيرهم ، ثم نهت عن الاعتقاد التقليدي الذي لا يستند إلى حجة أو دليل ، بل يخالف العقل والفطرة السليمة مثلما تأثر مشركوا العرب بعقيدة الفرس قال تعالى :﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]، وهذه العقيدة تمثلت بعبادة إلهين هما إله الخير وإله الشر " فَإِلهُ الخير لا يصدر منه إلا الخير والإنعام ، وإله الشر لا يصدر عنه إلا الشر والآلام ، وسموا إله

---

١ – وردت بألفاظها في السور التالية : سورة النساء :١٧١ ، سورة الأنعام : ١٩ ، سورة النحل ٢٢ ، سورة الكهف : ١١٠ ، سورة الأنبياء ١٠٨ ، سورة الحج : ٣٤ ، العنكبوت : ٤٦ ، سورة الصافات : ٤ ، سورة ص : ٥ ، سورة فصلت : ٦٦ ، سورة إبراهيم : ٥٢ .

٢ – الغزالي ، أبو حامد محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) ، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، ت: بسام عبد الوهاب الجابي ،الجفان والجابي – قبرص ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ج١ ، ص ٦١ .

٣ – ابن عثيمين ، **شرح ألفية ابن مالك** ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخير (يزدان)، وسموا إله الشر (آهْرُمُنُ) "[1] ، وجميع هذه النصوص جاءت للتأكيد على إبطال عقيدة التثليث عند النصارى ، والإشراك عند مشركي العرب ونفي عن الإله الحق أن يكون غير واحد .

[1] – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ١٧٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : القضايا التي عالجتها كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – .

المطلب الأول : إثبات الوحدانية لله تعالى .

خلق الله تعالى الخلق وسخر لهم ما في السموات والأرض ؛ من اجل غاية هي الأسمى – عبادة الله وحده – ، من خلالها ينتظم أمر الوجود ، ويتحرر المعبود من وساوس الشيطان وتبعية العقل والجمود ، من استسلم لهذه الغاية بالوسائل التي شرعها المولى للهداية فقد اهتدى ومن ضل فقد أساء اختيار النهاية .

ولهذه الغاية أشار المولى تبارك وتعالى في جعله آدم خليفته في أرضه ، ليقيم على أرض الله شرعة ، قال تعالى مخاطباً ملائكة عرشه :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ، ولا يتحقق الاستخلاف إلا ببيان الغاية منه ، وهي عبادة الله تعالى وحدة وتنزيهه عن مشابهة خلقه ، ودل على ذلك قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، ففي خلقهم أعظم دلالة ، وفي عبادتهم إياه اجلّ استحقاق " أي وما خلقتهم إلا ليعرفوني ، إذ لولا خلقهم لم يعرفوا وجودي ولا توحيدي " (١) ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

ثم أن الله تعالى أعطى الدلائل على وحدانيته في إلوهيته ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] ، فالله تعالى واحد أحد ، فرد صمد ، المقصود بالحوائج دون غيره ، لم يكن له صاحبة ولا ولد ، ولا مثيل له ولا شريك ولا ند " وهذه الآيات إثبات وحدانية الله تعالى ، وأنه لا يقصد في الحوائج غيره وتنزيهه عن سمات المحدثات وإبطال أن يكون له ابن ، وإبطال أن يكون المولود إلهاً مثل عيسى عليه السلام " (٢) ، تعالى الله عما يشركون .

---

١ – المراغي ، **تفسير المراغي** ، مصدر سابق ، ج٢٧ ، ص١٣.

٢ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج٣٠ ، ص ٦١٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر دلائل توحيده في ربوبيته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣] ، فهو الخالق الموجد لهذا الكون ، له الآيات الكبرى في كونه وفي خلق الإنسان ، خلق خلقه وتكفل لهم بالرزق ، ولم يكلهم إلى غيره من خلقه على ما هم عليه من النكران والجحود .

فقد بيّن لنا النبي – ﷺ – أن الرزق مقدّر من عند الله ولا يطلب إلا بطاعته ، ففي الحديث الذي يرويه الطبراني عن أبي أمامه ، أن رسول الله –ﷺ– قال:" نفث روح القدس في روعي أن لن تخرج نفساً من الدنيا حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته"(١) .

ثم أن الله تعالى بعث جميع الأنبياء والرسل بهذه الكلمة إلى الناس كافة قَالَ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢] ، وأرسل الله تعالى الرسل ، وأيدهم بالآيات الدالة على وحدانيته ، والمعجزات الناطقة بعظمته ، حتى تكتمل الحجة بالبلاغ والبيان ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٥] ، وجميعهم جاءوا بكلمة التوحيد التي هي حبل الله المتين وميثاقه الغليظ من تمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، أي : " وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الإلوهية " (٢) .

ثم أن الله تعالى أيد الرسل بالأدلة العقلية الدالة على وحدانيته ، من خلال التفكير العميق والنظر الدقيق في ملكوته ، فكل شيءٍ في هذا الوجود يدل على عظمته جل شأنه ، ففي

---

١ – الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، (المتوفى: ٣٦٠هـ) ،**المعجم الكبير** ، ت: حمدي بن عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، ج٨ ،ص ١٦٦ ، رقم الحديث : ٧٦٩٤ ، صححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزياداته** ، ج١ ، ص٤١٩ ، رقم الحديث : ٢٠٨٥١

٢ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٨ ، ص ٤٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلق السموات والأرض وما فيهن من بديع صنعه ، ما يذهل الأبصار ويستميل البصائر ويستنطق العقول بوحدانيته تعالى ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

لقد جاءت هذه الكلمة لتطهر ما شاب الفطرة السليمة للبشر، وتخرجهم من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ،من خلال التأكيد على مرتكزات رئيسة ، جعلت البشر يشركون مع الله آلهة اعتقاداً منهم بأنها تضر وتنفع وتقرب إلى الله وتشفع ، يطلبونها جلب الرزق ودفع البلاء ، جهلاً وعناداً وتبعية ، فأبطل الله دعواهم الزائفة من خلال مقابلة الحجة بالحجة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]، " فقد عبد الناس من دون الله تعالى قسمان من الآلهة : العقلاء حيث أن قوماً عبدوا المسيح وعزير والملائكة ، وغير العقلاء وهو ما عُبد من الأصنام ، اعتقاداً منهم أنها وسيلتهم إلى الله في التقرب " (١).

ليس هذا فحسب بل وصف الله تعالى الشرك بالظلم العظيم ، فقد فسّر النبي -ﷺ- قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٢] بالشرك ، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لمّا نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا : يا رسول الله ، أينا لا يظلم نفسه ؟ قال:" ليس كما تقولون﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾

---

١ – انظر– الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٦ ، ص٤٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الأنعام: ٨٢] بشركٍ ، أولَم تسمعوا إلى قولِ لُقمَان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " (١) .

والشرك بالله تعالى من أعظم الذنوب لقوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦]" ، فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد" (٢)، وجاء في الحديث الذي يرويه البخاري عن عبد الله بن مسعود ، قال: سألت النبي –ﷺ– أي الذنب أعظم عنْد اللَّه؟ قال: أن تجعل لله نداً ، وهو خلقك ، قلت: إن ذلك لعظيم ..." (٣) ، ورتب على ذلك الخلود في النار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، فمن مات ولم يتب فقد حرّمت عليه الجنة .

وبهذا يكون جل جلاله قد بين موضوع التوحيد ؛ من خلال الأدلة الكونية والنفسية والنقلية المتضمنة للآيات التي تخضع العقل السليم أن يقبل بالحجج الدامغة التي تنطق من خلال تفكرها في خلق السموات والأرض وما فيهن إلى أن الله واحدٌ لا شريك له وتنفي ما اتخذه الجهلاء من وجود الند والشريك مع الله .

---

١ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} [النساء: ١٢٥]ج ٤ ، ص ١٤١ ، رقم ٣٣٦٠ .
٢ – السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨١ .
٣ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ١٥٢ ، رقم ٧٥٢٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : إثبات يوم القيامة (البعث والنشور):

جاء ذكر يوم القيامة في القرآن الكريم سبعين مرة (١) ، وذكر البعث في سبعمائة وسبعة وستين آية ؛ ليؤكد حقيقة الإنتقال من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة ، ليجزي الله كل بما عمل في الحياة الدنيا ، ثم إن ارتباط يوم القيامة والبعث والنشور بكلمة التوحيد – لا إله إلا الله – لهو أكبر دلالة على أهمية الإيمان بالبعث والنشور والحساب ، فلا إيمان لمن لم يؤمن بهما ؛ لأن من آمن بوحدانية الله تعالى يجب أن يؤمن بجميع ما أخبرنا به الواحد الأحد من علم الغيب الذي لم يظهره لأحد من خلقه ، ومنها علم الساعة والإيمان بالبعث والنشور .

فنجد أن الآيات الدالة على الوحدانية كثيراً ما يرد فيها التذكير بالرجوع إلى الله تعالى ، نحو قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣] ، وقوله تعالى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد: ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧] ، وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[القصص: ٧٠] ، لذلك حذرنا من الشرك به وذكرنا بالرجوع إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] ، فقد حذرت الآية من الشرك ؛ لأن من صفات الواحد الأحد أنه مالك يوم الدين ، يوم يجمع الخلائق لفصل القضاء ؛ " ولأنه لا تصلح العبادة إلا للذي كل شيء هالك إلا وجهه ، المتفرد في الحكم دون غيره ، وهو الذي يقضي بينكم عندما تعودون إليه بعد الموت " (٢).

وارتباطها بكلمة التوحيد جاء ليؤكد عدة حقائق منها : إثبات إلوهية الله تعالى من خلال ذكره بعض ما اختص به تعالى من قدرته على الإحياء والإماتة ثم البعث والجمع والحساب قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧]

---

١ – ومن أشهر أسماء يوم القيامة : اليوم الآخر – الساعة – يوم البعث – يوم الخروج – القارعة – يوم الفصل – يوم الدين – الصاخة – الطامة الكبرى – يوم الحسرة – الغاشية – يوم الخلود – يوم الحساب – الواقعة – يوم الوعيد – يوم الآزفة – يوم الجمع – الحاقة – يوم التلاق – يوم التناد – يوم التغابن .

٢ – انظر– الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٩ ، ص ٥٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، فجمعت الآية بين تمجيد الله تعالى وذلك بذكر تفرده بالإلوهية " وتقريراً للإيمان بيوم البعث ، وردا لإشراك بعض المنافقين وإنكارهم البعث (١) .

وكذلك إبطال عقيدة المنكرين الرجوع للبعث والحساب ومرّ هذا الإنكار بمراحل : أولها الظن بأن الله لن يبعث احداً ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ [الجن:٧] " وما إنكارهم بالظن إلا لأنهم أعرضوا عن الحقائق العلمية التي تستدعي البعث والنشور ، فاعتمدوا على ظنهم الذي لا يغني من الحق شيئاً ، ولو تفكروا قليلاً في الدواعي لهذا الأمر لما أنكروه"(٢).

ثم يتحول هذا الظن إلى الزعم ، قَالَ تَعَالَى:﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]، وجاء هنا بلفظة زعم التي تعتبر كناية عن الكذب ؛ وذلك لأن ما اختلقوا من الكذب لم يبنى على علم ، وهي " من أفعال القلوب وفيه تفريع لكفار مكة ؛ لأن الزعم ادعاء العلم مع ظهور أمارات خلافه " (٣)

وبعد هذا الزعم المختلق يبدأ الله تعالى بإبطال دعواهم ، بأن قال : قل لهم يا محمد إن ما ينكرونه استناداً إلى ظنونهم وزعمهم سيكون ، وعبّر بـــقوله ": {بلى} فِي هَذَا الْموضع لتكذيب الْقَوْم فِيمَا زَعَمُوا" (٤) ، من استحالة أن يكون هنالك جمعٌ وحساب بعد الموت ، وأكد ذلك الأمر بأن فصّل لهم ما يحصل في هذا اليوم وذلك بذكر أسمين من أسماء يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن:٩] ، " يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والأرض، ذلك يوم التغابن، وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ ، والمراد بالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان " (٥) .

---

١ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج٥، ص ١٤٨ .

٢ – انظر – الماتريدي ، ، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)** ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص ٢٤٨ .

٣ – النيسابوري ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، مصدر سابق ،ج٦ ، ص ٣٠٦ .

٤ – السمعاني ، منصور بن محمد (المتوفى: ٤٨٩) ، **تفسير القرآن** ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وآخرون ، دار الوطن –الرياض – السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٧ ، ج٥ ، ص ٤٥١.

٥ – البغوي ،الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ) ، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** (تفسير البغوي) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد ذلك يأتي الإنكار بالقسم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٣٨] ، أقسموا بالله وغلّظوا الأيمان أن لن يبعث الله من يموت ، وكأنهم اتخذوا عند الله بذلك عهداً ، والمفارقة العجيبة أنهم أقسموا بالله الإيمان الغليظة ثم هم ينكرون ما أثبته الله تعالى من البعث والنشور، وما ذلك إلا لأنهم ما قدروا الله حق قدره ، ويثبت الله تعالى البعث والنشور بالنفي بـــ (بلى) " وبَلى إثبات لما بعد النفي، أي: بلى يبعثهم " (١) ؛ لأن ذلك وعدُ من الله ، والله لا يخلف الميعاد ، " ثم بيّن السبب الذي لأجله كان وعداً حقاً على الله تعالى ، وهو التمييز بين المطيع وبين العاصي ، وبين المحق والمبطل ، وبين الظالم والمظلوم ، وهو قوله:﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٩] " (٢).

ثم تأتي مرحلة الإستهزاء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون:٣٥-٣٧]

" وقد أكدوا إصرارهم على الإنكار للبعث والنشور ، من خلال تنوعهم في أساليب الإستهزاء ، فالإستفهام في قوله (أيعدكم) بمعنى التوقيف على جهة الإستبعاد ، وتكرار (أنكم) للتوكيد ، ثم استخدام لفظة (هيهات هيهات) التي تفيد الإستبعاد " (٣) ، كل ذلك مؤشر على بعدهم في الضلالة ، وإصرارهم على أن ليس هنالك إلا حياتهم التي يعيشونها ، ثم يكون الإستهزاء باستعجال ذلك الأمر على سبيل السخرية ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يس: ٤٨] ، والفعل المضارع في (يقولون) يفيد الإستمرارية على هذا الفعل ، فهم لا يتوقفون عن التشكيك والتكذيب والإستهزاء ، وهذا ديدنهم في كل زمان ومكان ، " وزادوا في الاستهزاء

---

١ – الزمخشري ، **الكشاف** ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٦٠٦ .

٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٠ ، ص ٧٠٢

٣ – انظر– ابن عطية ، عبد الحق بن غالب (المتوفى : ٥٤٢ هـــ) ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠ ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بتسميته وعداً فقالوا: {الوعد} أي الذي تهددوننا به تارة تلويحاً وتارة تصريحاً، عجلوه لنا. وألهبوا وهيجوا زيادة في التكذيب بقولهم: {إن كنتم صادقين } " (١) .

و القرآن الكريم والسنّة النبوية مليئان بالأدلة النقلية والعقلية التي تثبت حقيقة البعث والنشور والجمع يوم القيامة ، وقد جاء الإثبات بالأدلة العقلية المعنوية والحسية ، أما المعنوية :لما استبعد الكفار والمشركون البعث بعد الموت كما في سورة (ق) ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾[ق: ٣] ، فقد بين الله تعالى أن هذا الأمر من الأمور اليسيرة عليه ، حيث بيّن أن إعادة الأشياء المتفرقة يتوقف على أمرين: " أحدهما: العلم بتلك الأجزاء المتفرقة ، وثانيهما: القدرة على إعادة تلك الأجزاء ، وقد أوضحت الآية الكريمة أن علم الله شامل ومحيط ، فهو تعالى يعلم أين ذهبت تلك الأجزاء وكيف تفرقت ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [ق: ٤] فكيف يستبعد عليه إعادتهم " (٢) .

وأما دليل القدرة على إعادة تلك الجزاء فقد بينته الآيات التي تلي الآية [رقم :٣] من سورة (ق) وهي الدلائل العقلية الحسية المشاهدة بالنظر والتفكر ، كخلق السماء وما بث فيها من زينة ، والأرض وما جعل فيها من جبال وروابي وسهول وانهار، وإنزال الماء من السماء ليحيي به الأرض بعد موتها ، كلها شواهد تدعو صاحب الفكر السليم أن يقر بأن الله يبعث من في القبور .

ثم يأتي تأكيد البعث بالقسم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣] ، وما القسم إلا زيادة في التأكيد على تحقق هذا الأمر، ومن السنة النبوية قول النبي –ﷺ– :" إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ..." (٣) ، وقول الله تعالى في الحديث القدسي : " يشتمني ابن آدم ، وما ينبغي له أن يشتمني ، ويكذبني وما

---

١ – البقاعي ، ابراهيم بن عمر (المتوفى : ٨٨٥) ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، الطبعة : بلا ، ج ١٦، ص ١٣٩ .

٢ – انظر– الفقيهي ، علي بن محمد ، **مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الثالثة عشر – العدد (٥٠ – ٥١) ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص الكتاب ٧٠ ، ص الإلكترونية ١٢.

٣ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب : بلا ترجمة ، ج ٤، ص١٤١ ، رقم : ٣٣٦١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينبغي له ، أما شتمه فقوله : إن لي ولداً ، وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدني كما بدأني " (١) ، والأدلة النقلية كثيرة يصعب حصرها في هذا المطلب .

وأما الأدلة التي تخاطب العقل وتدعوه إلى التفكير السليم فكثيرة نذكر منها قوله تعالى :﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥]– أي كما استطعنا أن نخلقكم من التراب كذلك نستطيع أن نعيدكم فيه بالموت ثم نخرجكم تارة أخرى للحساب .

ثم إنه ليس من الحكمة بعد إنشاء هذا الكون بما فيه من عوالم ، أن يكون فنائه بهذه الطريقة العبثية ، " إذ كل عمل لا يكون له عاقبة حميدة عبث، وهو كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦] ، " أخبر أنه إذا لم يكن رجوع إليه يكون خلقه إياهم عبثًا "(٢) ، وهذا يخالف الحكمة التي خلق الله من اجلها الخلق كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦] ، " ومن يرى هذا التقدير في نظام الكون ، وهذه السلطة على مقدراته ، لا يشك في تلبية البشر الضعاف لدعوة تصدر إليهم من الخالق القادر العظيم ، بالخروج من القبور" (٣) .

المطلب الثالث :إثبات نبوة النبي محمد - ﷺ- .

منذ أن خلق الله تعالى الخلق ، وأنزل آدم -عليه السلام- إلى الأرض ، وجعله خليفته في أرضه ، وسخر له ما في السموات والأرض وهن أعظم الشواهد على عظمة خلقة ، ومع أن هذه الظواهر هي طريق العقل للإستدلال عليه تعالى ، إلا أنه سبحانه ما ترك الناس هملا ، يهتدي كلٌ منهم حسب قدراته العقلية وميوله وهواه ؛ بل أرسل الله تعالى الرسل ، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم .

---

١ – المصدر ذاته ، كتاب : بدء الخلق ، باب : مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧] ، ج ٤ ، ص ١٠٦ ، رقم : ٣١٩٣ .

٢ – الماتريدي ، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنّة)** مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٥٠٤ .

٣ – قطب ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ، **في ظلال القرآن** ، دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ ، ج٥ ، ٢٧٦٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمّا أرسل الله تعالى محمد -ﷺ- بدعوة التوحيد ، التي هي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، قوبلت دعوته بأنواع متعددة من التكذيب ؛ لذلك جاءت آيات الوحدانية لتثبت صدق نبوة النبي - ﷺ- من خلال :

أولاً : شهادة الله تعالى له بالنبوة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨] ، وقوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[ص: ٦٥] ، أي " أنا الرسول المنذر، والله الواحد القهار ، القاهر عباده بما يريد "(١) وجاءت هذه الشهادة بأشكال متعددة لإثبات رسالة الرسول وصدق ما جاء به من أمر الله تعالى ، أما شهادة الله تعالى برسالة الرسول -ﷺ- فكانت على النحو التالي : " إخباره بها في كتابه بنحو قوله (محمد رسول الله) وقوله: (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً)، وتأييده بالآيات الكثيرة التي من أعظمها القرآن ، فهو المعجزة الدائمة بما ثبت من عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله ، وبما اشتمل عليه من أخبار وشهادة كتبه السابقة له، وبشارة الرسل السابقين به " (٢) .

وبعد أن شهد الله تعالى لنبيه -ﷺ- بالرسالة أيده بشهادة أخرى يثبت فيها أن جميع ما جاء به هذا النبي هو من عند الله تعالى وأنه حق لذا " شهد الله تعالى في كتابه أن الدين عند الله الإسلام ، ثم أقام الآيات في الآفاق والأنفس مما يدل على توحيده واتصافه بصفات الكمال ، ثم أنه أودع في الفطرة البشرية الإيمان بإله واحد له صفات الكمال وببقاء النفس " (٣).

ثانياً : القصص القرآني الذي بيّن أن جميع الأمم السالفة كان فيها من يدعو إلى وحدانية الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠] ، وارتباط كلمة

---

١ – السمعاني، ، **تفسير القرآن** ، مصدر سابق ، ج ٤، ص٤٥٢ .
٢ – المراغي ، ، **تفسير المراغي** ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص٩٢ .
٣ – المصدر ذاته ، ج ٧ ، ص٩٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوحيد مع رسالة النبي –ﷺ– دليل أن جميع الأنبياء جاءوا ليقرروا حقيقة واحدة وهي وحدانية الله ، ثم دليل على أن البني محمد –ﷺ– هو نبي مرسل من الله تعالى إلى هذه الأمة ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ [فاطر:٢٤] ، " أي ما من أمةٍ من الأمم في العصور والأزمنة الخالية إلا وقد جاءها رسول" (١) ، وهذه الآية تقر أمرين " أحدهما لتسلية قلبه حيث يعلم أن غيره كان مثله محتملاً لتأذي القوم ، وثانيهما : إلزام القوم قبوله فإنه ليس بدعاً من الرسل وإنما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه الرسل ويقرره " (٢) ، وقد جاء التأكيد على أنه ليس بدعاً من الرسل في قوله تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، " أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطا في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال " (٣) .

ثم أن الأنبياء هم صفوة خلق الله تعالى ، اصطفاهم ليحملوا أمانة التبليغ كلٍ إلى قومه وكانوا من جنس البشر بل من أكرم بني قومهم خلقاً وخُلُقاً ، وإرسالهم يقرر أمرين هما إلوهية الله تعالى " وكونه إلهاً ، فإن ذلك مستلزم لكونه معبوداً مطاعاً ، ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله ، وكون الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم ، وجزاء محسنهم بإحسانه ، ومسيئهم بإساءته ، هذا حقيقة الربوبية ، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة "(٤) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]، ثم بيّن الله تعالى الحكمة من إرسال الرسل فقال تعالى ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٥] ، فلا حساب ولا عذاب إلا بعد أن يصل

---

١ – الصابوني ، محمد علي ، **صفوة التفاسير** ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ج٢ ، ص ٥٢٦ .
٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٦ ، ص ٢٣٤ .
٣ – السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٥٠ .
٤ – ابن قيم الجوزية ، **مدارج السالكين** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٩١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البلاغ المبين للناس أجمعين ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] رسولاً يبشّر من آمن وينذر من أعرض .

وقد عرض لنا القرآن الكريم في كثير من القصص القرآني صوراً من حال الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، وربط هذه الصور بحال النبي -ﷺ- والمتأمل لهذا القصص يجد أن حجج القوم واهية ، يشترك فيها جميع الأمم من أول الرسل إلى أخرهم عليهم السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [فاطر: ٢٥] ، وهي التكذيب المطلق الذي لا يستند إلى دليل بعدما جاءتهم رسلهم " بدلائل ثلاثة تدل على صدق نبوتهم وهي : البيّنات وهي الدلائل والمعجزات ومن ثم الزبر التي فيها مواعظ وتنبيهات ومن ثم الكتاب المنير وهو الكتاب الذي نسخ الشرائع السابقة وجاء بالأحكام وفق الحكمة الإلهية ، والنبي -ﷺ- جاء بهذه الدلائل الثلاث مما يدل على عظم شرف النبي -ﷺ- بين الأنبياء " (١) ودارت هذه الأكاذيب بين الجنون والسفه وبشرية هؤلاء الرسل وجعل الآلهة إلهاً واحداً ، وقد صوّر لنا القرآن حال نوح مع قومه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩]، ثم أنكروا أن يكون الرسول بشرا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [هود:٢٧] .

وما رسولنا الكريم -ﷺ- ببعيد من نوح ، ولا قريش أقل وطأة من قوم نوح ، فقد تعرض النبي -ﷺ- للأذى والتكذيب مثلما تعرض نوح - عليه السلام- فقد نوعت قريش بطرق التكذيب ، فاتهموه بالكذب والسحر ، قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[ص: ٤]، ليس هذا فحسب بل زادوا على ذلك قولهم بأنه شاعر مجنون ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[الصافات:٣٦] ، ولمّا ضاقت بهم السبل لم يجدوا إلا أن

---

١ - انظر- الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٦ ، ص ٢٣٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينكروا بشرية الرسل ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧] .

والذي يمعن النظر يجد أن هذه الافتراءات تتجدد في كل العصور وما ذلك إلا من القصور الذي اعترى بعض العقول ، فهلا جاءوا بحجج أقوى تثبت دعواهم ، هيهات لهم ذلك ؛ لأنهم عرفوا حقيقة هؤلاء المرسلين وأنهم صفوة خلق الله أجمعين .

ثالثاً : من خلال إبطال الشبه التي كانوا يشيعونها بين الناس وذلك لمّا فقدوا القدرة على أن يبطلوا دعوة النبي -ﷺ- بالحجج لجأوا إلى إسلوب اختلاق الكذب للتشكيك بهذه الرسالة فقالوا إن محمداً يعلمه رجل رومي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ ، وهذه فرية أبطلها الله تعالى عندما تحدى جهابذة العرب على أن يأتوا بمثل القرآن ، فكيف يعجزهم رجل أعجمي لا علم له بالعربية وفنونها ، قال تعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] ، وجاء الإبطال بثلاثة أمور" أن إسم الإشارة – هذا– يدل على عظم شأن القرآن الذي ينسبونه إلى بشر ، ثم وصف القرآن بأنه عربي والذي ينسبونه إليه غير عربي ووصف القرآن بالمبين وهذا الرجل غير مبين " (١) ، وهناك الكثير من الإفتراءات ذكرت في القرآن الكريم لا مجال لحصرها هنا ، وقد ذكرت سورة الفرقان بعضاً منها .

وأثبت القرآن أن هذا النبأ العظيم الذي جاءوا به هو وحيٌ من الله تعالى ليس لهم من أمره شيء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، نزل به أمين الوحي جبريل على قلب النبي بأمر من الله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

---

١ – انظر– القدومي ، سامي وديع ، **التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني** ، دار الوضاح الأردن – عمان ، ص٢٠٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن رسالة النبي محمد –ﷺ– خاتمة الرسالات ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، .فقد صدح بتبليغ رسالة التوحيد إلى الناس كافة مع تأكيده على أنه نبي أميّ مرسل من الله تعالى ، وجاء في الحديث الصحيح " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة " (١)

وأن الله ختم به النبيين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، وقد بشّرت به الكتب السماوية والأنبياء قبل بعثته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] –ﷺ– وبشّر به عيسى بن مريم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦] .

المطلب الرابع : إثبات صدق القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على أمين أهل الأرض محمد –ﷺ– بواسطة أمين أهل السماء جبريل –عليه السلام– ، وهو المعجزة الخالدة التي أيد بها الله تعالى النبي –ﷺ– لأن بين دفتيه يحمل الآيات البينات الدالة على صدق النبي –ﷺ– بما اخبر به عن وحدانية الله تعالى ، لذا كانت آيات الوحدانية متصلة إتصالاً وثيقاً مع ذكر القرآن للدلالة على صدق هذا النبأ العظيم وصدق من جاء به مبشراً ونذيراً

---

١ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب الصلاة ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، ج١ ، ص ٩٥ ، رقم : ٤٣٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بيّن الله تعالى مصدر القرآن فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤] أي " وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنما هو وحي من عند الله يوحى إليه " (١) ، ثم بين أن الذي نزل به هو أمين أهل السماء وهو جبريل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٦] والمقصود بالضمير هو القرآن نزل به جبريل عليك بلسان قومك وذلك إعجاز لهم ؛ لأنهم أهل الفصاحة والبيان " وإنّه لفي زبر الأولين المعنى أن القرآن مذكور في كتب المتقدّمين ففي ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل بأنه من عند الله آية لكم وبرهان " (٢) وأنه محفوظ بحفظ الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] والمقصود بالذكر" القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه " (٣) .

وبعد أن بين المولى تعالى مصدرية القرآن ، رد على المشككين الذين يحاولون النيل منه بوصفه بالشعر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩] أي " وما علمناه الشعر إشارة إلى أنه معلم من عند الله فعلمه ما أراد ولم يعلمه ما لم يرد"(٤) ثم بين أهميته بوصفة مرات عديدة بأنه ذكرٌ للعالمين أي " {إن هو} ما هو يعني القرآن {إلا ذكر} عظة {وقرآن مبين} مبين بالحلال والحرام والأمر والنهى " (٥) .

ولما أكثر القرآن من ذكر قصص الأمم السابقة ، وكيف كان موقفهم من الدعوة إلى التوحيد ، كان لابد أن يبين أن القرآن الكريم هو أصدق الحديث ، وإن ما بين دفتيه من القصص هي أصدق القصص وليست أساطير الأولين قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ

---

١ – النسفي ، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٣٨٩ .
٢ – ابن جزي ، **التسهيل لعلوم التنزيل** ، مصدر سابق ، ج ٢، ص ٩٥ .
٣ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج ١٧، ص ٦٨ .
٤ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج٢٦ ، ص ٣٠٤ .
٥ – ابن عباس ، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص٣٧٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران :٦٢] والمقصود في (إن هذا) أي " القرآن وما فيه من الأقاصيص، سميت قصصا لأن المعاني تتتابع فيها ، فهو من قولهم: فلان يقص أثر فلان، أي يتبعه " (١) ، فكل ما أخبر به القرآن هو حق واقع لا يعتريه أي شك .

ومما يزيد من إثبات صدق القرآن الكريم تكرار ورود كلمة التوحيد مع ذكر القرآن مرة يشهد له بالصدق كما في الآية السابقة من سورة آل عمران ومرة يأمر النبي –ﷺ– أن يتبع ما في هذا القرآن مما أوحي إليه من الأمر بتبليغ الناس وحدانية الله تعالى وتشريعاته قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] حيث " أمره أن يتبع ما أوحي إليه من ربه، بالبيان له والعمل به، مشيرا بإضافة اسم الرب إلى ضميره ، وناصبا إياه إماما لجميع أبناء جنسه ، يتربى به من وفق منهم لاتباعه ، وذلك أن الاقتداء لا يتم إلا بمن يعمل بما يعلم ويأتمر بما أمر، وقرن هذا الأمر بكلمة توحيد الألوهية ، لبيان وجوب ملازمته لتوحيد الربوبية " (٢) .

ويؤكد مرة أخرى أن هذا القرآن أنزل بعلم الله وأن النبي –ﷺ– جاء ليبلغهم هذا القرآن كما هو من عند الله ، فلمّا كان الإنكار ديدنهم عناداً وجحوداً وجب التحدي ، فتحداهم بمراحل أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعض سوره أو سورة من مثله فعلموا أن الذي أنزله على هذا النظم وبهذا القدر المعجز هو الحقيق بالعبادة دون سواه قال تعالى: ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود : ١٤] "(وأن لا إله إلا هو) أي واعلموا أنه لا إله يعبد بالحق إلا هو ؛ لأن من خصائص الإله أن يعلم ما لا يعلمه غيره ، وأن يعجز كل من عداه عن مثل ما يقدر هو عليه ، كما ظهر بهذا التحدي عجزكم وعجز آلهتكم وغيرهم عن الإتيان بعشر مثل سور كتابه بالتفصيل وعن سورة واحدة بالإجمال " (٣).

ولمّا عجز أهل اللغة وأصحاب الفصاحة والبيان أن يأتوا بهذا التحدي وهم الذين تغنوا بمعلقاتهم ونقدهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢] ، ، وارتباط ذكر القرآن بكلمة التوحيد دليل على صدق هذا الكتاب بكل ما فيه ، أي أن مصدره من الله تعالى .

---

١ – القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص١٠٥ .
٢ – رضا ، **تفسير المنار** ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص٥٥١ .
٣ – رضا ، **المرجع السابق** ، ج ١٢، ص٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني : إرتباط لا إله إلا الله بأدلة الوحدانية و بأسماء الله وصفاته

المبحث الأول : أدلة الوحدانية التي اقترنت بـ لا إله إلا لله

المطلب الأول : القدرة على الخلق

جاءت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – في مواضع كثيرة في القرآن مرتبطة بدلائل الوحدانية ، ولمّا كانت قدرته تعالى على الخلق والإحياء والإماتة من أعظم الدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة للعباد وما أشركوا من دون الله ؛ كان لابد من تذكيره سبحانه للخلق بأنه المتفرد بالخلق والإحياء والإماتة، ويظهر ذلك من خلال :

أنه تعالى هو الخالق لكل شيء في الوجود لذلك هو المستحق دون غيره للعبادة قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ، وقد تقدم هذه الآية كثيراً من دلائل القدرة الدالة على الوحدانية مثل : إن الله هو فالق الحب والنوى ، ومخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، وفالق الأصباح وجاعل الليل سكناً والقمر حسباناً ، وجاعل النجوم للهداية في ظلمات البر والبحر ، والإنشاء من نفسٍ واحدة ، وإنزال الماء من السماء لتنبت الأرض من نباتها المختلف رزقاً للعالمين ، وأنه هو مبدع السموات والأرض ، ثم أنتم بعد هذا تجعلون له الشريك من خلقه " ووقوع اسم الإشارة بعد إجراء الصفات والأخبار المتقدمة ، للتنبيه على أن المشار إليه حقيق بالأخبار والأوصاف التي ترد بعد اسم الإشارة ، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الْأَنْعَام: ٩٥] " (١) .

وفي كثير من الآيات يحتج الله تعالى بتوحيد الربوبية على المشركين ؛ لأن الإله القادر على الخلق والإيجاد والذي يرزق العباد بلا منّة هو المستحق للعبادة دون غيره من المخلوقات الضعيفة التي لا تملك من كل هذا شيء ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] ، ويقول ابن جزي في تفسيره لهذه الآيات أن فيها فوائدٌ ثلاث :" الأولى: هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة

---

١ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص٤١٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله بطريقين: أحدهما: إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والسموات ، والآخر: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام ، فذكر أوّلا ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم ، لأنّ الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات ، لأنّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر.

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية: الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها: فلا تجعلوا لله أندادا، وذلك هو الذي يترجم عنه بقولنا: لا إله إلّا الله . والثالثة : التنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور منها: أنّ الله موجود، لأنّ الصنعة دليل على الصانع لا محالة، وأنه واحد لا شريك له، لأنه لا خالق إلّا هو ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٧] وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته " (١)

ومن أعظم مظاهر الخلق المشاهدة للبشر، خلق السموات والأرض فقد أكثر القرآن ذكر خلق السموات والأرض كظاهرة تنفي الشرك مع الله ، قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] ،" والاقتصار في ذكر المخلوقات على هذه الأربعة تعريض بإبطال عقائد كفار العرب ؛ فإنهم بين مشركين وصابئة ومجوس ونصارى، وكلهم قد أثبتوا آلهة غير الله فالمشركون أثبتوا آلهة من الأرض ، والصابئة أثبتوا آلهة من الكواكب السماوية ، والنصارى أثبتوا إلهية عيسى أو عيسى ومريم وهما من الموجودات الأرضية ، والمجوس وهم المانوية ألهوا النور والظلمة ، فالنور إله الخير والظلمة إله الشر عندهم ، فأخبرهم الله تعالى أنه خالق السماوات والأرض ، أي بما فيهم ، وخالق الظلمات والنور" (٢) ، وما استدلال القرآن الكريم بهذه الظواهر الكونية ومنها خلق السموات والأرض وما فيهن من عوالم إلا " استدلالاً بالأثر على المؤثر، وبالصنعة على الصانع ، وعرّفهم طريق النظر، وفيم ينظرون " (٣) .

---

١ – ابن جزي ، أبو القاسم محمد بن احمد الكلبي ، (ت : ٧٤١هـ) ، **التسهيل لعلوم القرآن** ، ت: د. عبدالله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، ج ١ ، ص ، ٧٥ باختصار.

٢ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ١٢٧.

٣ – أبو حيان ، محمد يوسف (المتوفى : ٧٤٥) ، **البحر المحيط** ، تحقيق : صدقي محمد جميل ن دار الفكر – بيروت ، الطبعة ١٤٢٠هـ ، ج٢ ، ص٧٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتستمر الدلائل الكونية في إثبات الإلوهية ففي خلق الليل والنهار وتعاقبهما وما ينتج عن ذلك من التوقيت الزمني ، وكذلك الشمس والقمر وهذا النظم العجيب في حركتيهما وتزيين السماء بزينة الكواكب ، كل هذه آيات يستدل بها أصحاب العقول السليمة على أن موجد هذه الآيات واحد أحد لا شريك له ولا مثيل ولا ند ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ، ثم ينتقل لدليلٍ آخر وهو المظهر النفسي ، والذي يتجلى في خلق النفس الإنسانية التي تدعوا العقول للتفكر في خلقها ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس: ٧٧] ثم يصور لنا الله -ﷻ- المراحل التي تمر بها هذه النفس وما فيها من عجائب الصنعة التي تدل على عظم الصانع ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران] ،" وخص من بين شؤون القيّومية تصوير البشر لأنه من أعجب مظاهر القدرة ، ولأن فيه تعريضاً بالرد على النصارى في اعتقادهم إلاهية عيسى من اجل أن الله صوره بكيفية غير معتادة ، فبيّن لهم أن الكيفيات العارضة للموجودات كلها من صنع الله وتصويره ، سواء المعتاد وغير المعتاد " (١) .

وقد جاءت السنة النبوية تبين ذلك في الحديث الذي يرويه البخاري عن عبد الله بن عمر قال : حدثنا رسول الله -ﷺ- وهو الصادق المصدوق قال : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقيٌ أو سعيدٌ ، ثم ينفخ فيه الروح ..." (٢) .

وبعد أن يظهر الله عجائب قدرته في الخلق ، يتحدى المشركين بأن يأتوا بأي خلق يضاهي خلق الله ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِى بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤] ، ثم يأتي الرد القاطع من الله تعالى بأنهم لن يستطيعوا أن يخلقوا مثل أضعف مخلوق من مخلوقات الله –

---

١ – أبو حيان ، المصدرالسابق ، ج ٣ ، ص ١٥١ .
٢ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١١١ ، رقم ٣٢٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷻ- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: ٧٣].

ثم يدعوهم الله تعالى إلى نظرة تأمل وتفكر ومقارنة بين خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم ليستنتجوا من هذه المقارنة ما غاب عن عقولهم وأفهامهم من أن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلقهم ، قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧] .

المطلب الثاني : القدرة على الإحياء والإماتة :

ثم جاء الدليل الآخر للذين أشركوا مع الله آلهة أخرى ؛ بأن الله تعالى هو المحيي والمميت قَالَ تَعَالَى:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر: ٦٨] ، فالله تعالى هو الذي يحيي الموتى بعد موتهم للبعث والحساب ، وهو الذي يحيي الأرض بعد موتها .

والحكمة من خلق الموت والحياة هو الإبتلاء ؛ ليعلم المؤمن من الكافر والبر من الفاجر ، قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢]، وعن قتادة ، في قوله: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) قال:" أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء " (١) .

ثم لما كان الإنكار منهم أورد لهم الله تعالى دليل أقوى من خلق الموت والحياة وهو خلق السموات والأرض ، قَالَ تَعَالَى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] ، ليقرر أن الذي خلق السموات والأرض على ما هنّ عليه من العظم ، في الترتيب العجيب والنظم الدقيق في جعل هذه السموات طباقاً من غير عمدٍ ولا خللٍ ، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن

---

١ - الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج٢٣ ، ص ٥٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ [الملك: ٣].، لا يعجزه ما هو أصغر من ذلك وهو الإحياء والإماتة .

وفي كل زمان يتجدد المشهد من المشركين والملاحدة بالسؤال الذي يدل على سفاهتهم والذي عبّر عنه القرآن بقوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ [يس: ٧٨]، ويكون الجواب حاضراً بالدليل القويم ، حيث إعادة الخلق أهون من ابتداءه ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس: - ٧٩-٨٠] ، وإحياء الأرض بعد موتها لدليل على إعادة الحياة بعد الموت ، قال تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الروم: ٥٠].

وما كان من متكبر قوم إبراهيم من الإدعاء بالإحياء والإماتة إلا ضربٌ من السفه فأبطله الله تعالى بالحجة الساطعة والبرهان القاطع ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وجواب إبراهيم هذا من أقوى الأدلة على معرفة الخالق ، " وذلك لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من القادرين ، والإحياء والإماتة كذلك ؛ لأن الخلق عاجزون عنهما "(١)، لأن فعل الخالق هو الإيجاد من العدم والإفناء بعد الإيجاد والبعث بعد الفناء ، فهنا تكمن ماهيّة الإحياء والإماته وليس كما فعل سفيه قوم إبراهيم .

ويأتي الله –ﷻ– بالحجج الدالة على تفرده في إلوهيته المرة تلو الأخرى ، وهذه المرة بطريقة أخرى وهي الاعتبار النفسي والتجربة الذاتية من نفس الشخص الذي سأل عن قدرة الله –ﷻ– على الإحياء بعد الإماتة ، ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص ٢٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: - ٢٥٩] ، فقد انتقل به إلى دلائل قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة لأن " دلالة الإحياء والإماتة على وجود الصانع أقوى من دلالة طلوع الشمس عليه وذلك لأنا نرى في ذات الإنسان وصفاته تبديلات واختلافات والتبدل قوي الدلالة على الحاجة إلى المؤثر القادر، أما الشمس فلا نرى في ذاتها تبدلا، ولا في صفاتها تبدلا " (١) .

المطلب الثالث : إحاطة العلم ومطلق الحكم لله تعالى

ومن أدلة التوحيد التي ارتبطت بهذه الكلمة :

أولاً : إحاطة علم الله تعالى بكل شيء ، فالعلم صفة كمال وضدها الجهل ، ولا يجوز على الإله الحق أن يتصف بالجهل ، فهو العالم بأمور الخلق من قبل أن يخلقهم " قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء ، فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم ، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ چ [الْمُلْكِ: ١٤] " (٢) .

وقد عبّرت الآية الكريمة عن أهم العلوم الخفية عن الخلق التي استأثر الله تعالى بها بعلمه الأزلي ، فالله تعالى يعلم ما كان وما يكون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقد بيّن الله تعالى هذه المفاتح بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ

---

١ – المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٤ .

٢ – ابن أبي العز ، محمد بن علاء الدين (المتوفى: ٧٩٢هـ) ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ج٢ ، ص ٣٥٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤] ثم بينها النبي -ﷺ- في الحديث الذي يرويه البخاري عن ابن عمر – رضي اللّه عنهما- أن رسول اللّه -ﷺ- قال: " مفاتيح الغيبِ خمس لا يعلمها إلا اللّه: لا يعلم ما في غدٍ إلا اللّه، ولا يعلم ما تَغِيض الأرحام إلا اللّه، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا اللّه، ولا تدري نفس بأيِّ أرضٍ تموت إلا اللّه، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا اللّه تبارك وتعالى" (١) .

وجاء ذكر علم الله تعالى في معرض الرد على الذين أشركوا مع الله تعالى ما لا يعلمون شيئاً فهل يستوي من يعلم ما في السموات والأرض مع من من صفة الجهل ملازمة له كالأصنام والعجل وغيرها من المعبودات الباطلة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨] .

وقد تبرأ النبي – ﷺ – من أنه يعلم الغيب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠] . ، وحيث أنه لم يدّع أحدٌ من الخلق بما فيهم الأنبياء علم الغيب فقد وجب أن يكون الله تعالى هو الإله المتفرد بالإلوهية ؛ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولا تخفى عليه خافية ، فقد قِيلَ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله : إن غيلان يقول في القدر كذا وكذا ، فمرّ به فقال : أخبرني عن العلم ؟ فقال : سبحان الله فقد علم الله كل نفسٍ ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة ، فقال عمر بن عبد العزيز : والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك ، اذهب الآن فاجهد جهدك "(٢) .

ثانياً : الحكم لله تعالى : والحكم هو الملك والسلطان ومطلق التصرف فيما يملك ، وهو فصل القضاء بين الناس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

---

١ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ١١٦ ، رقم : ٧٣٧٩ .

٢ – ابن حنبل ، أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد (المتوفى: ٢٩٠هـ)، **السنة** ، ت: د. محمد بن سالم القحطاني دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ، ج٢ ، ص ٣٨٦ ، رقم ٨٣٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠] ، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ القصص: ٨٨ فقد عرّفه ابن كثير بقوله : " وَقَوْلُهُ: {لَهُ الْحُكْمُ} أي : له الملك والتصرف، ولا معقب لحكمه " (١) ، وعرّفه البغوي في تفسيره :" وله الحكم : فصل القضاء بين الخلق ، قال ابن عباس –رضي الله عنهما– : حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء وإليه ترجعون "(٢) .

فكيف يجعلون الحكم لمن لا يستطيع دفع الهلاك عن نفسه ، تعالى الله عما يشركون ، لذلك تحدى الله تعالى الجن والإنس أن يخرجوا من سلطانه وحكمه ولكن هيهات هيهات أن يتجرأ من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً أن يخرج خارج حدود سلطان الله تعالى ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣] .

المطلب الرابع : تفرده تعالى بالرزق :

إن الاعتقاد السليم بأن الله تعالى هو الرزاق من أهم أركان التوحيد ، لأن الذي خلق الخلق هو الذي رزقهم تفضلاً منه ، ولم يكلهم إلى غيره فهو الذي يبسط الرزق لعباده ويقدر، ومع ذلك جعلوا لله الشريك مع أن الذين يدعون من دونه لا يملكون من قطمير ؛ لذلك كان التذكير بأن الله هو الرزاق مقترناً بالتوحيد قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣] ،" ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأوثان ؛ ولهذا قال : {لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} " (٣)

---

١ – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، مصدر سابق، ج ٦ ، ص ٢٦٢.
٢ – البغوي ، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ، مصدر سابق ج ٣ ، ص ٥٤٢ .
٣ – – ابن كثير، ، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج٦ ، ص٥٣٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي كل مرة يأتي الله تعالى بأدلة الوحدانية التي تنفي أن يكون هنالك رازقاً غيره ، فمرة يذكرهم بقدرة الله تعالى على بدء الخلق وإعادته لتقرير أنه الرازق وحده ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤] ، وتارة يذكر الله تعالى أفعال لا يمكن أن يشاركه فيها احد من خلقه ، " فذكر أفعال الله تعالى التي لا شريك له فيها وهي الخلق والرزق والإماتة والإحياء ولا يمكن أن ينكر ذلك عاقل، ووقف الكفار على جهة التقرير والتوبيخ هل من شركائهم أي الذين جعلوهم شركاء من يفعل شيئا من ذلك " (١) كان الأولى بهم الانصراف إلى الرازق الحق الإله المستحق للعبادة " إذن: كان عليكم أنْ تتأملوا: من أين تأتي مقومات حياتكم، ومَنْ صاحب الفضل فيها، فتتوجَّهون إليه بالعبادة والطاعة (٢) ، وبالرغم من ذلك كله فهو يرزقهم ويصبر على أذاهم ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي موسى الأشعري، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ -ﷺ- : " ما أحدٌ أصبر على أذى سمعه من الله ، يدعون له الولد ، ثم يعافيهم ويرزقهم " (٣).

والرزق لا يحتاج إلى كثير عناء ولا إجهاد النفس في طلبه ؛ لأن الله تعالى تكفل بالأرزاق وتوزيعها قبل خلق الإنسان قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] ، فوعد الله محقق لمن تيقن وتوكل أن الرزق من عنده وأخذ بالأسباب يقول سفيان الثوري: " قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) فقال: ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا، فلما كان اليوم الثالث إذا هو بدوخلّة رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، فدخل معه، فصارتا دوخلّتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الموت بينهما " (٤) ويصدّق هذا قول النبي -ﷺ- :" لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً " (٥) ، وكذلك حديث عمر بن الخطاب" أنه قَالَ: " ما من امرئ إلا وله أثرٌ هو واطئه ، ورزقٌ هو آكله ، وأجلٌ هو بالغه ، وحنقٌ هو قاتله

---

١ – ابن عطية ،أبو محمد عبد الحق بن تمام الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ) ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، ت:عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٢ هـ ، ج ٤ ، ص ٣٣٩ .

٢ – الشعراوي ، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١١١٠٩ .

٣ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص١١٥ ، رقم : ٧٣٧٨ .

٤ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج٢٢ ، ص٤٢١ .

٥ – ابن حنبل ، أحمد بن محمد (المتوفى : ٢٤١هـ) ، **مسند أحمد بن حنبل** ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م ، ج١ ، ص٣٠ ، رقم :٢٠٥ ، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها برقم : ٣١٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى لو أن رجلاً هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه كما أن الموت يدرك من هرب منه ، ألا فاتقوا الله واجملوا في الطلب " (١) .

المطلب الخامس: قدرته –سبحانه – على البعث والجمع والحساب :

ومن الدلائل على وحدانية الله تعالى البعث والجمع والحساب ، وهي من القضايا الغيبية التي ضرب القرآن الكريم الأمثلة الحية لها لتقريب المشهد ، بواسطة الأمثلة المحسوسة والمدركة ؛ لتدرك العقول بأن لهذا الكون إلهاً واحداً ، كتب على نفسه الرحمة ليجمع الناس إلى يومٍ معلوم للفصل بين الخلائق ؛ وليجزي كل نفسٍ بما كسبت .

وقد كذّب وشكك المشركون بالبعث بعد الموت واستثقلتها أنفسهم وما ذلك إلا لأنهم ما قدروا الله حق قدره ، فقالوا مستهزئين ساخرين ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ [الإسراء: ٤٩] ، وجاء رد القرآن عليهم بأن ذكرهم بأصل خلقتهم بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: ٦٧] ، ويقرب الله صورة الموقف العظيم بصورة محسوسة وهي اليقظة بعد النوم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠] ؛ لأن " القادر على البعث من توفى النوم قادر على البعث من توفى الموت " (٢)

ولمّا ضربوا لله الأمثال تشكيكاً بقدرته على البعث بعد الموت جاء الرد الإلهي الذي أبهتهم : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨ – ٧٩] .

ويعقب البعث جمع الخلائق أمام الله تعالى ، وقد سمى الله تعالى هذا اليوم بيوم التغابن

---

١ – البيهقي ، أحمد بن الحسين (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، **شعب الإيمان** ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م ، ج٢ ، ص٤١٢ ، رقم ١١٤٨ ، حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها برقم : ٩٥٢ .

٢ – المراغي ، **تفسير المراغي** ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص ١٤٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لما فيه من الشعور بالنقص والخسران ، وقد عرّفه الزجّاج بقوله : " ويوم التغابن يوم يغبن اهل الجنة اهل النار ، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان في دون منزلته " (١) ، وقد جمع الله تعالى بين دلائل وحدانيته من الإحياء والإماتة ليقرر ما هو أهون على الله منهما وهو جمع الناس للحساب ، قال تعالى :﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٦] ، والْمُرَادَ من ذكر أدلة الوحدانية هو :" أنكم لمّا شاهدتم أنه تعالى يخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، ثم شاهدتم أنه أخرج البدن الحي من النطفة الميتة مرة واحدة ، فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحي من ميت التراب الرميم مرة اخرى ؟ والمقصود الإنكار على تكذيبهم بالحشر والنشر"(٢) .

وفي هذا اليوم تقف الخلائق أمام الله للحساب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧] ، ليتحقق وعد الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء:٨٧] .

وجاءت السنة النبوية لتقرر هذا الوعد، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة -ﷺ- ، قال: أتى النبي -ﷺ- يوماً بلحم فقال : " إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد ، فيُسمعهم الداعي و يُنفدهم البصر ، وتدنو الشمس منهم ... "(٣) ، وهذا تذكيرٌ من الله تعالى ؛ بأن من يملك يوم الحساب أحق أن يعبد دون غيره من خلقه ممن لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً وسيقفون أمام الله يوم العرض للسؤال ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣].

---

١ – الزجاج ، إبراهيم بن السري(ت: ٣١١هـ) ، **معاني القرآن وإعرابه** ، ت: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ،ج ٥ ، ص ١٨٠ .
٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ١٣ ، ص ٧٤ .
٣ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٤١ ، رقم : ٣٣٦١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: إرتباط لا إله إلا الله بالأسماء والصفات.

المطلب الأول : وصف الله تعالى أسماءه بالحسنى .

وصف الله تعالى أسماءه بالحسنى في أربعة مواضع في القرآن الكريم وهي :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله تعالى :﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه : ٨]، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر:٢٤] .

والحسنى على وزن فُعْلَى وهي " مؤنث الأحسن كالكبرى تأنيث الأكبر والجمع الكبر والحسن " (١) ومعناها :" ضد القبح ونقيضه " (٢) .

وسبب التسمية بالحسنى :" لأنها حسنة في الأسماع والقلوب ، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله "(٣) ، بينما يرى الرازي أن لهذه التسمية وجوه : " الأول : أنها دالة على معانٍ حسنة ؛ لأن أكمل الصفات وأجلها وأعلاها هي صفات الله تعالى ، والثاني : المراد بأسماء هاهنا الوصاف الحسنة وهي الوصف بالوحدانية والجلال والعزة والإحسان وانتفاء شبه الخلق " (٤) ، وقد بينت لنا السنّة النبوية أن لله تعالى الأسماء الحسنى في الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة : أن رسول الله -ﷺ- قال: " إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة "(٥) .

غير أن هذه الأسماء مما أظهرنا الله تعالى عليها ، ولكن هنالك أسماء استأثر الله تعالى بعلمها ، و يظهر ذلك من خلال دعاء النبي -ﷺ- في الحديث الذي يرويه ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال:، قال رسول الله -ﷺ- : " ما قال عبدٌ قط ، إذا أصابه همٌ أو حزنٌ : اللهم

---

١ – القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي** ، مصدر سابق ج ٧ ، ص ٣٢٧ .
٢ – ابن منظور ، **لسان العرب** ، مصدر سابق ، ج ١٣ ، ص١١٤ .
٣ – القرطبي ، المصدر السابق ،ج٧ ، ص ٣٢٦ .
٤ – الرازي ، **لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات** ، مصدر سابق ، ص٢٨.
٥ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ، ج٩ ،ص ١١٨ ، رقم ٧٣٩٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك / ماضٍ فيّ حكمك ، عدلٌ فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسمٍ هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ...(١) .

وقد حذرنا الله تعالى من الإلحاد في أسمائه وصفاته ؛ لأن المشركين والملحدين ألحدوا فيها " وكان إلحادهم في أسماء الله ، أنهم عدَلوا بها عمّا هي عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها "اللات" اشتقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو "الله"، وسموا بعضها "العُزَّى" اشتقاقًا لها من اسم الله الذي هو "العزيز" (٢) ، وهذا أحد أنواع الإلحاد .

ومن خلال تتبع انحرافات أهل الباطل في أسماء الله وصفاته يتبين ثلاثة أنواع للإلحاد: " الأول: إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله ، مثل أن الكفّار كانوا يسمون الأوثان بآلهة ومثال ذلك أن مسيلمة الكذاب لقب نفسه بالرحمن ، والثاني : أن يسموا الله بما لايجوز تسميته به ، مثل تسمية من سماه –أبا– للمسيح ، وقول جمهور النصارى : أب وابن وروح القدس ، والثالث : أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه ، فإنه ربما كان مسماه أمراً غير لائق بجلال الله "(٣).

ومذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبته الله تعالى لذاته العلية من أسماء وصفات في القرآن والسنة " من غير تحريفٍ ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يثبتون له – تعالى– ما أثبته لنفسه ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه "(٤) ؛ لأن الله تعالى هو الذي أثبت لذاته الأسماء الحسنى والصفات العلى ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه : ٨] ، " دلت هذه الآية أن أسماء الله ليست إلا لله ، والصفات الحسنى ليست إلا لله ، فيجب كونها موصوفة بالحسن والكمال فهذا يفيد أن كل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمالٍ وجلال فإنه لا يجوز إطلاقه على الله "(٥) .

---

١ – ابن حبان ، محمد بن حبان التميمي (ت: ٣٥٤هـ) ، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ، ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ج٣ ، ص ٢٥٣ ، رقم : ٩٧٢ ، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم : ١٩٩.

٢ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج ١٣ ، ص٢٨٢ .

٣ – انظر– الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ١٥ ، ص ٤١٧ .

٤ – ابن تيميه ، أحمد بن عبد الحليم (المتوفى : ٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح** ، تحقيق : علي بن حسن وآخرون ، دار العاصمة – السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م ، ج٤ ، ص ٤٠٥

٥ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ١٥ ، ص ٤١٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجب على من آمن بصفات الله وأسمائه أن يلتزم قواعد رئيسة في تأمله لهذه الأسماء والصفات وهي : " ١ – تنزيه الله تعالى عن مشابهة صفات الخلق. ٢– الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم إيماناً مبنياً على أساس التنزيه على نحو: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} .٣– قطع الطمع في إدراك الكيفية لأن الله يقول: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} " (١)؛ لأن صفات المخلوق تختلف عن صفات الخالق وذلك من عدة وجوه :" لأن حصول صفاته له لا تكون من نفسه بل من غيره ، وهو سبحانه يستحق حصول صفاته لنفسه لا لغيره ، وثانيها : أن صفات غيره مختصة بزمانٍ دون زمان أنها حادثة ، وصفات الحق ليست كذلك "(٢) ؛ لذلك وجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق في الأسماء والصفات .

المطلب الثاني : دلالة الأسماء والصفات على وحدانية الله تعالى

قسّم العلماء التوحيد إلى أنواع ثلاثة رئيسة وهي : توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، لا ينفك بعضها عن بعض ؛ لأن من آمن بوحدانية الله في إلوهيته وجب عليه أن يقر بوحدانية الله في أسمائه وصفاته ، يقول السعدي :"إنّ الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبيّة، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء، والصفات، وهذه الأنواع هي رَوح الإيمان وروحه، وأصله وغايته فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله، وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه "(٣)

ومعرفة الأسماء والصفات هي التي تعطي التصور عن الأصل المراد معرفته و"هي الوسائل التي تعرَّف الله بها إلى خلقه، وهى النوافذ التي يطل منها القلب على الله مباشرة (٤)

فالعلاقة ما بين توحيد الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات ، علاقة ترابطية تكاملية ؛ حيث أن " توحيد الربوبية هو توحيد إثبات الذات ، أو توحيد المعرفة بذات الله تعالى ؛ من خلال

---

١ – الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، **الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م ، ص٢٩ .

٢ – الرازي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٤٨ .

٣ – السعدي ،أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ) ، **تفسير أسماء الله الحسنى** ، ت: عبيد بن علي العبيد ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد ١١٢ – السنة ٣٣ –١٤٢١هـ ج ١ ، ص ١٤٨ .

٤ – سيد سابق (ت: ١٤٢٠هـ) **العقائد الإسلامية** ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ج١ ، ص٢٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دلائل قدرته في الخلق والإحياء، والإماتة والرزق وغيرها من دلائل قدرته ، وأما توحيد الصفات فهو توحيد إثبات أن كل صفة لله تعالى هي صفة يتفرد بها الله تعالى ولا يشابهه أحد في صفة من صفاته الذاتية ولا الفعلية " (١) .

لذلك كانت الغاية من إرسال الرسل " تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله" (٢). فمن اعتقد لله بوحدانية الربوبية وآمن وصدّق بما أثبت الله تعالى في كتبه وعلى لسان أنبيائه من الأسماء والصفات الدالة على ذاته العلية أيقن أن الله متفرد في إلوهيته

ومن خلال النظر في أسماء الله تعالى وصفاته يزداد المؤمن يقيناً بأن الله تعالى هو المالك المتصرف في هذا الكون وأنه واحد في ذاته ، واحد في أفعاله ، فمنها : الحي والخالق والسميع والبصير ويشتق منها الصفات ، فهو المحيي والمميت والذي خلق الأشياء من العدم ، ولمّا كانت آلهتهم لا تستطيع فعل أي من هذه الأفعال التي هي من صفات الله الفعلية ظهر عجز الآلهة وبطلان عبادتها " وقد ذكر الله عز وجل بطلان عبادة الأصنام بكونها لا تخلق، وبكونها أمواتاً غير أحياء، وبكونها لا تسمع، يقول الله عز وجل حكاية عن إبراهيم: قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢] " (٣) .

إن كل اسم وصفة لله تعالى تخاطب العقول وتستنطق الأفهام للتفكر في ذات الله تعالى لتقرير وحدانيته تعالى من خلال أسمائه في ذاته وأفعاله ، فمن خلال مخلوقات الله تعالى الكونية والنفسية يظهر اسم الله تعالى الخالق ؛ لأن هذا الفعل الدال على الإسم لا يفعله أحد من مخلوقاته ممن دعوا لهم الإلوهية ، ومن خلال النعم التي تتراءى للناس يظهر اسم الله تعالى الرزّاق ، ومن خلال النظر في إمهال الناس رغم معصيتهم ليتوبوا يظهر اسمه التوّاب ، ومن خلال ما

---

١ – انظر– الجبرين عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ١٤٣٠هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية** ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية– http://www.islamweb.net – الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ١٠٠ درس] درس ٤ ، ص ٧ .

٢ – ابن قيم الجوزية ،محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١هـ) ،**الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة** ، تحقيق :علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ، ج ٤ ، ص ١٤٨٩ .

٣ – السلمي عبد الرحيم بن صمايل العلياني ، **أصول العقيدة** ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net ،[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٩ دروس]
،ج٦ ، ص٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نرى من رحمته بالناس وما وضع في قلوب البشر من رحمة يظهر اسمه الرحيم ، وهكذا فإن الناظر في أفعال الله تعالى التي لا تنبغي لغيره تدل على أنه المتصف بصفات الكمال ، وهذه الأسماء والصفات وإن اشترك المخلوق فيها مع الخالق إلا أنها لا تتشابه في الكيفية .

فعلم العبد بمعاني ودلالات أسماء الله تعالى وصفاته هي الطريق الموصل إلى حقيقة العبادات المقتضية للأسماء والصفات " فَعلم العَبْد بتفرد الرب تَعَالى بالضر والنفع وَالعطَاء وَالْمَنْع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر لهُ عبودية التَّوَكُّل عَلَيْهِ بَاطِنا ولوازم التَّوَكُّل وثمراته ظَاهرا " (١) ، وهكذا جميع الأسماء والصفات تولد في النفس صدق العبادة وإخلاصها .

المطلب الثالث :دلالة تذييل آيات الوحدانية بالأسماء والصفات

يختم الله تعالى في كثير من آيات القرآن بأسمائه وصفاته الحسنى التي تناسب المقام ، ففي كل آية يختم الله تعالى ما يناسبها من أسمائه الدالة على معنىً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الآية ومن أهم هذه الموضوعات موضوع الوحدانية ، ومن هذه الأسماء والصفات :

١- **الوكيل** : " فالوكيل في صفات الله تعالى بمعنى موكول إليه فإن العباد وكلوا إليه مصالحهم واعتمدوا على إحسانه " (٢) ، فقد ورد في سورة الانعام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وسورة المزمل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩]، " فلمّا كانت ربوبيته للعالم لا ينازع فيها المشركون أعقبت بما يقتضي إبطال دعوى المشركين تعدد الآلهة بقوله (لا إله إلا هو) تعريضاً بهم ، ولذلك فرّع عليه قوله (فاتخذه وكيلا) ، إذ ليس غيره بأهل لاتخاذه وكيلا ، والوكيل : الذي يوكل إليه الأمور " (٣) .

٢- **العلم** : وهو صفة ذاتية لله تعالى ، وقد وردت في سورة طه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه:٩٨] ، وقد جاء هذا التذييل في معرض الرد على السامري وما افتراه وللمقارنة بين إله موسى وإله السامري الذي لا يعلم شيئاً في مقابل علم الله

---

١ – ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١هـ) ، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ج٢ ، ص٩٠ .
٢ – الرازي ، **لوامع البيّنات** ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .
٣ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مصدر سابق ج ٢٩ ، ص ٢٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى " ثم أضاف الحق تبارك وتعالى ما يُفرِّق بين إله الحق وإله الباطل، فقال:﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨] لأنه سبحانه هو الإله الحق، وهذه أيضاً رَدٌّ على السامريّ وما اتخذه إلهاً من دون الله، فالعجل الذي اتخذه لا عِلمَ عنده، وكذلك السامري الذي أمر الناس بعبادته، فلو كان عنده علم لعرفَ أن عِجْله سيُحرق ويُنسَف وتذروه الرياح " (١) ، ولمّا ثبت عجز المخلوقات أن يحيط علمهم كعلم الله تعالى ثبت أن الله تعالى هو المتفرد بالعلم ، ثبت أنه الإله الواحد المستحق للعبودية .

٣- **رب العرش الكريم :** والكريم تعني : " كل صفة محمودة من شرف النسب والعزة و الشيء الذي تكثر منافعه والشيء الحسن " (٢) ، ولمّا كانت الآيات السابقة تتحدث عن حال المكذبين يوم الحساب وقد ذكرّهم الله تعالى بالغاية من خلقهم وحقيقة رجوعهم جاءت هذه الآية لتبين أن الله تعالى هو الإله الحق وهو المالك المتصرف في هذا الكون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] ؛ لأنه سبحانه هو العزيز الذي لا يقهر وهو الذي يملك يوم الدين وهو المعطي بلا منة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده كما دلت عليه الآية التي تليها وليس من آلهتهم من يفعل ذلك .

٤- **رب العرش العظيم :** " الرَّبُّ: هو الله عز وجل ، وهو ربُ كل شيٍ ومالكه ، وله الربوبية على جميع الخلق ، لا شريك له ، وهو ربُ الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك ، ولا يقال الرب في غير الله ، إلا بالإضافة ... والرَّبُّ يطلق في اللغة على المالك ، والسيّد ، والمدبر، والمربي، والقيّم والمنعم (٣) ، وجاء ذكر اسم الرب مضاف مع كلمة العرش العظيم في سورتين هما سورة النمل في قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦] ، وسورة التوبة في قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩] ، **فالله تعالى هو المالك المتصرف في هذا الكون وله مقاليد الحكم ، وهذا الكون العظيم أكبر دليل على أنه الإله الحق المستحق للعبودية دون غيره** ،" وقوله : رب العرش

---

١ – الشعراوي ، **تفسير الشعراوي ـ الخواطر**– مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٩٣٧٦ .
٢ – انظر– الرازي ، المصدر سابق ، ص ٢٠٣ –٢٠٤ .
٣ – ابن منظور ، **لسان العرب** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العظيم :أي مالك الفلك الأعظم ، المحيط بالعوالم العليا وفي هذا تعريضٌ بأن عظمة ملك بلقيس وعظم عرشها ما كان حقيقاً بأن يغرّها بالإعراض عن عبادة الله تعالى ؛ لأن الله هو رب الملك الأعظم ، فتعريف العرش للدلالة على معنى الكمال ، ووصفه بالعظيم للدلالة على كمال العظم في تجسم النفاسة "([1]).

٥- **الواحد القهار** : قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥]" الوَاحِد في اللغة إنما هو للشيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منهما ، وفائدة هذه اللفظة في الله عز اسمه إنما هي تفرده بصفاته التي لا يشركه فيها أحد ، والله تعالى هو الواحد في الحقيقة ومن سواه من الخلق أحاد تركبت "([2]) ، والقهار: القَهْر في اللغة : الرياضة والتذليل يُقَال قهر فلان النَّاقة إذا راضها وذللها والله تعالى قهر المعاندين بما أقام الآيات والدلالات على وحدانيته وقهر جبابرة خلقه بعز سُلْطانه وقهر الْخلق كلهم بالموت" ([3]) ، وجاء تذييل الآية بصفتين من صفات الله تعالى وهما الواحد والقهار للدلالة على وحدانية الله وقهره للمكذبين كما قهر الذين من قبلهم " وذكر صفة الواحد تأكيد لمدلول ما من إله إلا الله إماء إلى رد إنكارهم ، وذكر صفة القهّار تعريض بتهديد المشركين بأن الله قادر على قهرهم ن أي غلبهم "([4]) ، والتذييل هنا جاء ليقرر الوحدانية بعدما بدأ في أول السورة بأدلة الوحدانية عندما قالوا :﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: ٥] ، " فقوله : إلا الله الواحد القهّار إشارة إلى أن كونه قهاراً يدل على كونه واحداً ، وأما الثاني : وهو أن يقال إن الذي جُعل شريكاً له لا يقدر على شيء البتة مثل هذه الأوثان " ([5]) .

٦- **الرحمن الرحيم** : وهما من أسماء الله تعالى " بنيت الصفة الأولى على فعلان لأن معناه الكثرة ، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين ، فأما الرحيم : فإنما ذكر بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل ، والرحيم قد يكون لغيره "([6])" وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات ، منها مرتان مع كلمة التوحيد نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

---

[1] – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٢٥٦ .
[2] – الزجاج ، إبراهيم بن السري (المتوفى: ٣١١هـ) ،**تفسير أسماء الله الحسنى** ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، ج١ ، ص ٥٧ .
[3] – المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٣٧ .
[4] – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مصدر سابق ، ج٢٣ ن ص ٢٩٥ .
[5] – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٦ ، ص٤٠٦ .
[6] – ابن منظور ، **لسان العرب** ، مصدر سابق ، مادة- رحم – ج١٢ ، ص٢٣٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣] ، ففي هذه الآية ذيّل الله تعالى بصفتين من صفاته وهي الرحمن الرحيم بعدما ذكر في بداية الآية صفة الإلوهية التي تعني القوة والقهر وذلك ؛ " لأن ذكر الإلهية الفردانية يفيد القهر والعلو ، فعقبهما بذكر هذه المبالغة في الرحمة ترويحاً للقلوب عن هيبة الإلهية ، وعزة الفردانية وإشعاراً بأن رحمته سبقت غضبه ، وأنه ما خلق إلا للرحمة والإحسان"(١)، والسبب الآخر للتذييل بهاتين الصفتين لأن هذه الآية " عقيب آية مختومة باللعنة والعذاب لمن مات غير موحدٍ له تعالى ، إذ غالب القرآن أنه إذا ذكرت آية عذاب ذكرت آية رحمة ، وإذا ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب "(٢).

٧- **العلي العظيم** " هُوَ فعيل فِي معنى فَاعل ، فَالله تَعَالَى عالٍ على خلقه وهو عليّ عليه بقدرته " (٣) و" والمعظم في صفة الله تعالى يفيد عظم الشأن والسلطان "(٤) ، وردت مرة واحدة في آخر أية الكرسي ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، لمّا جمعت هذه الآية أنواع التوحيد الثلاث – توحيد الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات ، وذكرت كثير من صفات الله تعالى التي لا تنبغي لأحد من خلقه ختم بصفتي العلي العظيم " أي وهو المتعالي عن الأنداد والأشباه، العظيم على كل شيء سواه، فهو المنزّه بعظمته عن الاحتياج إلى من يعلمه بحقيقة أحوالهم، أو يستنزله عما يريد من مجازاتهم على أعمالهم " (٥).

٨- **الحي القيوم** : الحي يفيد دوام الوجود والله تعالى لم يزل موجوداً ولا يزال موجوداً ، والقيوم هو فيعول من قام يقوم الذي بمعنى دام "(٦) ، وجاءت مع كلمة التوحيد مرتين في بداية آية الكرسي وفي قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢] ، للدلالة على وحدانية الله تعالى ونفي أن يكون له ولد كما زعمت النصارى ، " وقوله الحي القيوم جامعة لجميع وجوه

---

١ – الرازي ، **المصدر السابق** ، ج٤ ، ص١٥٢ .
٢ – أبو حيان ، **البحر المحيط** ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص٨٢ .
٣ – الزجّاج ، **تفسير أسماء الله الحسنى** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣٧ .
٤ – المصدر ذاته ، ج١، ص ٤٦ .
٥ – المراغي ، **تفسير المراغي** ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٤ .
٦ – الزجّاج المصدر السابق ، ج١، ص ٥٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدلائل على بطلان قول النصارى في التثليث "[1] ؛ لأن الله تعالى حيّ قيّوم يستحيل عليه الولد وثبت أن عيسى –عليه السلام– ما كان حيّ قيّوم لأنه كان قد ولِد وكان يأكل ويشرب فثبت من ذلك نفي أن يكون عيسى إلهاً كما زعمت النصارى .

٩ – **العزيز الحكيم** : " العزيز من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى ؛ قال الزجّاج : هو الممتنع فلا يغلبه شيء ، ومن أسمائه عز وجل المعز وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده "[2] ، وقد وردت في تسع وعشرين موضع في القرآن الكريم ، ووردت مع كلمة التوحيد ثلاث مرات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ٦] وفي هذه الآية رد على النصارى الذين قالوا إن المسيح يعلم الغيب ويحيي الموتى " فالعزيز إشارة إلى كمال القدرة والحكيم إشارة إلى كمال العلم ، وهو تقريرٌ لما تقدم من أن علم المسيح ببعض الغيوب ، وقدرته على الإحياء والإماتة في بعض الصور لا يكفي في كونه إلهاً ، فإن الإله لابد وأن يكون كامل القدرة وهوالعزيز، وكامل العلم وهو الحكيم "[3] .

وفي الموضع الثاني قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وفي هذه الآية ختم بالعزيز الحكيم بعد أن قرن شهادته بإثبات الوحدانية لذاته بالعدل وذلك " للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين،ولذلك قرن به قوله: (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل "[4] .

وفي الموضع الثالث قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢] ، لذا كانت الآيات السابقة لهذه الآية تتحدث عن النصارى وعقيدتهم في الإلوهية والتثليث ، نفى في هذه الآية دعواهم واثبت الإلوهية لله وختم بصفتين منفيتين عن عيسى –عليه السلام– ؛ لذلك فالعزيز الحكيم " إشارة إلى وصفيّ الإلهية وهما : القدرة الناشئة عن

---

١ – الرازي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٢٩

٢ – ابن منظور ، **لسان العرب** ، مصدر سابق ، مادة عزز ، ج٥ ، ص ٣٧٤.

٣ – الرازي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص١٣٦ .

٤ – الزمخسري ، **الكشاف** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغلبة فلا يمتنع عليه شيء ، والعلم المعبر عنه بالحكمة فيما صنع والإتقان لما اخترع ، فلا يخفى عنه شيء وهاتان الصفتان منفيتان عن عيسى "[1] .

[1] – أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، **البحر المحيط في التفسير** ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة ١٤٢٠هـ ، ج٣ ، ص١٩٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث : منهج القرآن الكريم وأساليبه في عرض لا إله إلا الله

المبحث الأول : منهج القرآن في عرض كلمة التوحيد

المطلب الأول : ذكر إرسال الرسل

أرسل الله تعالى الرسل ليذكروا الخلق بالعهد الذي أخذه الله تعالى عليهم في ظهور أمهاتهم من إقرارهم بربوبية الله تعالى دون غيره والذي يشير إليه قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، وينقوا الفطرة التي فطر الله الناس عليها مما شابها من المؤثرات التي أخرجتها عن الحنيفية السمحة كما بينتها الآية التالية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

والحكمة من إرسال الرسل هو عدل الله المطلق، فما كان الله ليعذبهم بذنبٍ وهم لا يعلمون ولم يأتيهم من يبلغهم الأمر الإلهي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: ١٥]، وعندها تكون لهم الحجة أمام الله تعالى ؛ لذلك بعث الله الرسل حتى تكون الحجة بالحجة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥] .

لذلك أنزل الله الرسل تترا ، فما من قومٍ إلا وقد أتاهم بشير ، يبشرهم بما عند الله من الثواب العظيم للذين أخلصوا له الوحدانية ، ونذير ينذرهم التولي والإعراض عن دعوة رسله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٤] ، وقد توالت الرسل لتحقيق الغاية التي خلق الله الخلق من اجلها وهي توحيده تعالى ، وأمرهم أن يبلغوا ما أرسلوا به إلى أقوامهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢] ، فهذا نوح –عليه السلام– يدعو قومه إلى عبادة الله وحده قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣] ، وكذلك هود –عليه السلام– يدعوا قومه إلى وحدانية الله ونبذ ما كانوا يعبدون من دون الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

ثم جاءت الدعوة الخاتمة والرسالة الخالدة إلى نبي الإنسانية جمعاء – محمد ﷺ – فيخبره الله تعالى أن دعوته هي دعوة جميع الرسل الذين سبقوه وهي دعوة التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ويأمره الله تعالى بأن يصدع بالدعوة إلى جميع الناس من العرب والأعاجم ويؤكد عليه التزام تبليغ الناس الدعوة ؛ لأن الهدف من إرسال الرسل هو تبليغ رسالة الله تعالى إلى خلقه حتى يقروا له بالعبودية المطلقة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]

لذلك بدأ النبي – ﷺ– بعرض نفسه على الناس مبيناً دلائل قدرة إلهه الذي بعثه إلى الناس كافة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، وجعل كلمة التوحيد أساس الدعوة إلى الله ومفتاح السعادة والأمان ، فقد كان النبي –ﷺ– حين يرسل السرايا ويولي الولاة يوصيهم بأن يكون هدفهم هو تبليغ كلمة التوحيد للناس ، لما جاء من حديث مسلم الذي يرويه عن ابن عباس أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معاذاً قال : بعثني رسول الله -ﷺ- قال : " إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..." (١) .

ثم يدعوهم إلى الصبر والتحمل و الثبات على الحق مهما علا صوت الباطل وقويت شوكته ، في سبيل إيصال رسالة الله تعالى إلى الناس مهما تعرضوا للأذى ، وهذا ما حصل مع جميع الأنبياء فقد جوبهوا مجابهة عنيفة شديدة من عالية القوم وسادتها ؛ لأن هذا الأمر الذي أتوا به يحطم أساطيرهم ويدمر مشروعهم الذي بنوه على ظهور الضعفاء والجهلة .

فها هو نوح -عليه السلام- تستمر دعوته لقومه تسعمائة وخمسون عاماً يتعرض خلالها إلى ألوان من التكذيب والسخرية والإستهزاء ثابتاً في موقفه متحملاً في سبيل دعوته قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقد سطّر لنا النبي -ﷺ- وهو القدوة الحسنة أروع معاني الثبات على الحق ومدافعة الباطل ، فما أن أتى قريش بهذه الدعوة حتى انبرى له صناديد قريش بالتكذيب والتعذيب والتسفيه ، ومحاولات ومفاوضات ليكف عن هذا الأمر ، يروي ابن هشام في سيرته :" أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله -ﷺ- ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له ، فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، قال : فظن رسول الله -ﷺ- انه قد بدا لعمه فيه بداءٌ أنه خاذله ومُسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال: فقال رسول الله -ﷺ- : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته " (٢).

وعبّر النبي -ﷺ- عن شدة هذا الأذى عندما سألته السيدة عائشة رضي الله عنها ، هل لقي النبي -ﷺ- يوماً أشد من يوم احد فقال :" لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت

---

١ – مسلم ، **صحيح مسلم** ، مصدر سابق ، كتاب الإيمان ، باب : الدعاء إلى الإيمان وشرائع الإسلام ، ج١ ، ص٥٠ ، رقم : ١٩.

٢ – ابن هشام عبد الملك بن أيوب (المتوفى: ٢١٣هـ) ، **السيرة النبوية لابن هشام** ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ، ج١ ، ص٢٦٦ ، ضعفه الألباني في الأحاديث الضعيفة رقم : ١٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت " (١) .

وفي ظل هذا التكذيب والتعذيب والمكائد للنيل من النبي -ﷺ- يأتي التأكيد على التبليغ والثبات عليه وعدم الخوف من أعداء الله لأن الرعاية الإلهية ما كانت لتذر رسل الله يواجهون المخاطر دون نصر الله وحفظه لهم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

إن أفضل ما يميز رسل الله جميعاً أنهم من البشر ؛ لذلك كانت دعوتهم بأمر من الله تعالى ودافع قلبي في رغبتهم بأن ينال بني قومهم شرف العبودية لله ، والتنعم بخير هذه العبودية ، وتنوعت أساليب دعوتهم حسب حال المدعوين من بني قومهم ، ومن هذه الأساليب : الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى ، فقد أمر الله تعالى نبيه محمد -ﷺ- أن يدعو إلى سبيله بهذه الوسائل كما في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، وقد رتب المولى -ﷻ- الدعوة إلى سبيله بالحكمة أولاً ،" وهي البراهين القطعية اليقينية ثم بالموعظة الحسنة ، وهي الدلائل اليقينية الاقناعية الظنية ، ثم بالجدل على الطريق الأحسن والأكمل ، فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الجدل ليس من باب الدعوة ، بل المقصود منه غرضٌ آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام "(٢).

لذلك بيّن الله تعالى اسلوب الدعوة عندما أرسل موسى وهارون إلى فرعون فقال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤] ، فقد أمرهم أن يقولوا له قولاً ليناً مع أنه نعته بالطغيان – أن قال أنا ربكم الأعلى ، وقوله ما علمت لكم من إلهٍ غيري – وبين كذلك للنبي – ﷺ – أن من أسباب قبول دعوته هو الإسلوب الذي اتبعه مع المدعوين من الرأفة والرقة

---

١ –البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ،ج ٤ ، ص ١١٥ ، رقم : ٣٢٣١.

٢ – انظر – الرازي ، المصدر السابق، ج٢٠ ، ص ٢٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واللين فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقد وصف الله تعالى النبي -ﷺ- بالرحمة قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، المؤمن والكافر ، " من آمن بالله واليوم الآخر كُتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف "(١) ؛ لذلك كان النبي -ﷺ- رحيماً بالناس رحمة الوالد بولده ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة قال:" قال رسول الله -ﷺ-: " إنما أنا لكم مثل الوالد لولده "(٢) ومن صور حرص النبي -ﷺ- على هداية الناس وإن هذه العاطفة لم تكن مقتصرة على بني قومه ، حرصه على هداية اليهودي وهو على فراش الموت فعن أنس -رضي الله عنه- قال: " كان غلامٌ يهودي يخدم النبي -ﷺ- ، فمرض فأتاه النبي -ﷺ- يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج النبي -ﷺ- وهو يقول :الحمد لله الذي أنقذه من النار " (٣) .

وخلاصة القول أن الأنبياء جميعاً أدبهم الله تعالى بأدب النبوة وميزهم بالصفات التي تجعل منهم القدوة الحسنة وزيّن ذلك بقدرتهم في فن التعامل مع خصوم الدين بأساليب ترق لها القلوب وتلين لها العقول وتنقاد لها الأفكار ؛ لكي يستطيعوا تبليغ رسالة التوحيد في مجتمعات سيطر عليها الجهل والتخلف والتبعية من سادة استهوتهم سياسة الإستعباد وحب الملذات والشهوات ، فمنهم من أنكر وقليل منهم المؤمنون .

المطلب الثاني: ذكر إنزال الكتب السماوية

أرسل الله تعالى الرسل ليبينوا للناس ما نزّل إليهم ، من الكتب السماوية التي تحمل بين دفتيها مضمون الرسالة الإلهية من آيات الوحدانية بما فيها الآيات الكونية ، والآيات النفسية ، وآيات الأحكام وآيات تصديق النبوات ، والمستقرئ لآيات الكتب السماوية يجد أنها تدور في

---

١ – الطبري ، **جامع البيان في تاويل القرآن** ، مصدر سابق ،ج١٨ ، ص٥٥٢ .

٢ – ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، **سنن ابن ماجه** ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل الحلبي ، باب الإستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة ،ج١ ، ص١١٤ ، رقم : ٣١٣ . قال عنه الألباني : حسن صحيح في (**صحيح وضعيف ابن ماجه**) ، ج١ ،ص٣٨٥.

٣ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ، ج ٢ ، ص٩٤ ، رقم : ١٣٥٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محورٍ رئيس وهو وحدانية الله تعالى فكل آية في كتاب الله تعالى – القرآن الكريم – تدل على وحدانية الله تعالى إما صراحة وإما إشارة .

لذلك أمرنا الله تعالى أن نؤمن به وبرسله وكتبه التي تحمل الآيات البيّنات على وحدانيته ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [الحديد: ٢٥] ، لذا تجد في القرآن الكريم وما سبقه من الكتب السماوية ، أن الله تعالى يتحدث عن ذاته العلية بشهادته لوحدانيته ونفي أن يكون معه آلهة ، فشهد لذاته بالوحدانية في كتابه العزيز قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] ، والشهادة لاتكون إلا ممن علم علم اليقين بما يشهد لتقع الشهادة موقعها ؛ ولمّا كان الله تعالى هو المتصرف في هذا الكون وهو العالم به كانت شهادته إخباراً لنا " أن الشاهد الحقيقيّ ليس إلا الله، وذلك لأنه تعالى هو الذي خلق الأشياء وجعلها دلائل على توحيده، ولولا تلك الدلائل لما صحت الشهادة " (١) ؛ لأن " الشاهد هو الذي يعلم الشيء ويبينه ، فقد دلنا الله تعالى على وحدانيته بما خلق "(٢).

وشهادة الله تعالى هي أعظم الشهادات وأكبرها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩] ، وذلك عندما طلب مشركوا قريش من النبي – ﷺ– أن يأتيهم بما يشهد له بنبوته ، فجاءت أكبر الشهادات من الله تعالى على صدقه مؤيده بالآيات البيّنات ، ومما يدل كذلك على عظم الشهادة الربانية أن الله تعالى هو الذي تكفل بالرد على أحبار بلاد الشام عندما سألوا النبي –ﷺ– عن أعظم شهادة في كتاب الله لتكون دليلاً على صدقه واتباعه " قالا: نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله –ﷺ–: (سَلانِي) فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله. فأنزل الله تعالى على نبيه صلى

---

١ – القاسمي ، **محاسن التأويل** ، مصدر سابق، ج٢ ، ٢٩٦ .

٢ – القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله عليه وسلم" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط" فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

ومن عظم هذه الكلمة أن العلماء أعطوها أهمية بالغة عند تلاوتها ولم يمروا عليها مرور الكرام بل تدبروا معنى أن يشهد الله تعالى بوحدانيته لذلك قال الأعمش عند تلاوته قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] ، " **وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة ، وإن الدين عند الله الإسلام** " (٢).

وشهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية تكون " بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس وإنزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك ، وعبّر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذاناً بقوته في إثبات المطلوبِ وإشعاراً بإنكار المنكر " (٣) ، فما أدل على وحدانية الله تعالى من الدلائل الكونية والنفسية المشاهدة " فشهادة الله: خلقه العالم ، فمشاهدة آثار الصّنعة شهادة على صانعها الحكيم " (٤) .

وقد أثبتت هذه الآية حقيقة التوحيد بما تضمنته من إبطال عقائد المشركين ، بأن أثبتت تفرد الله تعالى في الإلوهية ونفت ألوهية ما عداه " فتضمنت هذه الآية: أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها من أجلّ شاهد، بأجل مشهود "(٥) ، وأما شهادة الملائكة ، فشهادة إقرار ، وأما شهادة أولوا العلم فهي " بالإيمان بها والاحتجاج عليها " (٦).بما نصب ووضع الله تعالى من الدلائل الكونية والنفسية الدالة على أنه الواحد ، الذي يسرهم إلى معرفته ثم الدعوة إلى توحيده .

---

١ – المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص٤١ .
٢ – المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص٤٢ .
٣ – أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، **تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**– دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ج ٢ ، ص١٦ .
٤ – النيسابوري ، محمود بن أبي الحسن (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ) ، **إيجاز البيان عن معاني القرآن** ، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ ، ج١ ، ص١٨٤ .
٥ – ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر(المتوفى: ٧٥١هـ) ، **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)** ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت
، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ ،ج١ ، ص١٧٧ .
٦ – البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مناهج القرآن الكريم في تقرير وحدانية الله تعالى أن يأتي بالقصة القرآنية بإسلوب يجسد الحالة التي كانت قبل الإسلام ، منذ عهد نوح –عليه السلام– إلى عهد النبي –ﷺ– ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ٦٢] حيث أن معظم القصص القرآني يدور على قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦] ، وقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، فمعظم القصص جاءت لتقرر حقيقة التوحيد من خلال وحدة الموضوع – لا إله إلا الله – الذي جاء به الرسل إلى أقوامهم .

والغاية الأخرى من القصص القرآني هي تثبيت قلب النبي –ﷺ– وصحابته الكرام والأمة من بعده على دعوة الحق والإستمرار على مواصلة الدعوة مهما تواجه من تحديات ومصاعب و": التنبيه على أن إعراض الناس عن قبول هذه الدلائل والبينات ليس من خواص قوم محمد –ﷺ– بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في جميع الأمم السالفة والمصيبة إذا عمت خفت. فكان ذكر قصصهم وحكاية إصرارهم على الجهل والعناد يفيد تسلية الرسول عليه السلام وتخفيف ذلك على قلبه" (١).

وتهدف القصة القرآنية أيضاً " لتنمية التأثير العاطفي الذي ينمي اتجاهات وجدانية ثابتة ، لا تأثيرات انفعالية عابره وذلك من خلال التكرار " (٢) ، فقد وردت القصة الواحدة في القرآن الكريم بأساليب مختلفة تحاكي الوجدان من خلال استنفار العاطفة وتجييش المشاعر وإظهار الرحمة والرأفة .

عرضت القصة القرآنية موضوع التوحيد من خلال قصص الأنبياء مع أقوامهم ، تارة مفصلة وتارة مجملة وتارة بالإشارة ، وفي كل مرة يتكرر فيها المشهد القصصي يكون هنالك فائدة جديدة جاء بها هذا التكرار ، وتميزت القصة القرآنية في عرض دلائل التوحيد ، فتراها في موضع تبدأ بذكر القوم والنبي المرسل لهم ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ،ج١٤ ، ص٢٩٣ .

٢ – عباس ، فضل حسن (المتوفى : ١٤٣٢هـ) ، **قصص القرآن الكريم** ، دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ه– ٢٠١٠م ، ص٤٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾،[هود:٢٥] ، ثم بيان الرسالة التي حملها الرسل إلى أقوامهم ، وهي رسالة التوحيد – لا إله إلا الله – فقالوا جميعاً لأقوامهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٦٥]، وفي موضع آخر تذكر الحوار بين الرسل وأقوامهم ومثال ذلك حوار نوح – عليه السلام – مع قومه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٠ – ٦١] ، وفي آخر تذكر ما حل بالأقوام السابقة نتيجة إعراضهم عن الإقرار بوحدانية الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٥ – ٦]، ثم المقارنة بين الأمم السابقة والمشركين في عهد النبي –ﷺ– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩]، فقد " ذكّرهم بحال أمثالهم ووبال أشكالهم ، ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك لأن من تقدم من عادٍ وثمود كانوا اشد منهم قوة ولم تنفعهم قواهم ، وكانوا أكثر مالاً وعمارةً ، فلمّا كذبوا أهلكوا فكيف أنتم" (١) ، وهنا دعوة إلى التفكر والنظر إلى الفارق الكبير بين ما كان يتمتع به الأقوام السابقة من القوة والنعيم والتمكين في الأرض وبين مشركي مكة الذين لم يكن لهم ما كان لمن سبقهم من الأمم .

المطلب الثالث : إبطال عقيدة الشرك

بعد أن أقام الله تعالى الدلائل على وحدانيته ، بيّن بطلان عقيدة أهل الشرك الفاسدة ، وذلك من خلال النصوص التي تحذر من اتخاذ الشريك مع الله تعالى منها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[القصص:٨٨] ، فقد نهى الله تعالى النبي –ﷺ–أن يدعو غيره وهذا من باب عظم المنهي عنه ، لذلك خاطب من لا يمكن تصور هذا الأمر منه ليعلم الناس البراءة من الشرك ، ثم ذكر صفات الإله الواحد

١ – انظر – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٥ ، ص ٨٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستحق للعبودية وحده دون غيره " ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ذاتَه فإنَّ ما عداهُ كائناً ما كان ممكنٌ في حدِّ ذاتِه عرضةٌ للهلاكِ والعدم ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي القضاء النافذ في الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ عندَ البعثِ للجزاءِ بالحقِّ والعدل " (١) ، فمن كانت صفته البقاء أحق بالعبادة ممن يجري عليه الهلاك ، ومن كان صفته الفصل بين الخلائق بالعدل أحق بالعبادة ممن يجوز في حقه الظلم ، ومن صفته إعادة الخلق بعد الموت للبعث والحساب أحق بالعبادة ممن لا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

ثم بيّن بإسلوب الترغيب وحدانية الله تعالى ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]؛ لأن النفس التي ترجو الخير تعمل لأجله ، فوحدانية الله تعالى هي سبب كل الخير ففيها السعادة في الدنيا بحفظ الكرامة وفي الآخرة دخول الجنة والنجاة من النار لحديث ابن مسعود قال : قَالَ: النَّبِيُّ -ﷺ- كلمة وقلت أخرى، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: " من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار ، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة "(٢) .

ثم جاء النهي ترهيباً للناس جميعاً الا يتخذوا إلهاً آخر مع الله قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:٥١] ، وهذا النهي فيه تحذير وإنذار شديد للإبتعاد عن هذا الفعل حيث عبّر في الآية السابقة لهذه الآية بلفظة (ففروا إلى الله) " كأنّه قيل وفرُّوا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقاداً أو قولاً إلهاً آخر وفيهِ تأكيدٌ لما قبله من الأمر بالفرار من العقابِ إليهِ تعالى " (٣) ، أي أسرعوا باللجوء إلى الله والإعتصام به والإقرار بوحدانيته مخافة أن يطولكم ما رتّب عليه من العقوبة .

---

١ – أبو السعود ، تفسير أبي السعود – **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** – ، مصدر سابق ، ج٧ ، ص٢٨ .

٢ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، كتاب تفسير القرآن ، باب قولِهِ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [البقرة: ١٦٥] ، ج٦ ، ص ٢٣ ، رقم : ٤٤٩٧ .

٣ – أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص١٤٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم جاء النهي ليعالج قضية الإلوهية عند النصارى ودحض اعتقاداتهم الباطلة قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] ، وقد اختلفت عقيدة النصارى الزائفة في هذا القول " فمنهم من قال إن الله هو المسيح ابن مريم وهم اليعقوبية والملكانية من النصارى لأنهم يقولون إن الإله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار إلها وآخرون قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وهذا قول المرقوسية والنساورية من النصارى " (١) .

وهذه عقيدة باطلة دل على بطلانها قوله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥] ، فالله تعالى يبين أن المسيح نبي كسائر الأنبياء الذين جاءوا من قبلة بالتوحيد ، ويؤكد على بشريته وأمه بذكر صفة لا تكون إلا للبشر " لأنّ من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام" (٢) ، ثم إن الإضطراب والتضارب في أقوالهم وعدم الإتفاق على قولٍ واحد لدليل على أن هذه العقيدة لا تقوم على دليل بيّن ، وكذلك فإن العقل يرفض بديهياً أن تكون الثلاثة واحد لأن " الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة " (٣) .

وبعد أن بيّن فساد عقيدة النصارى في التثليث تحول إلى إبطال حالة اخرى من الشرك عند قبائل العرب " وهو الإشراك بإلهية أصلين للخير والشر ، تقلدته قبائل العرب المجاورة بلاد فارس والساري فيهم سلطان كسرى وعوائدهم " (٤) فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١] ، فقد شدد الله تعالى في التنفير من اتخاذ إلهٍ آخر

---

١ – انظر– الخازن ، علي بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٧٤١هـ) ، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، تصحيح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، ج ٢ ، ص٦٥ .
٢ – انظر الزمخشري ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٦٦٥ .
٣ – الخازن ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص٦٦ .
٤ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص١٧١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

؛لأن هذا القول تستقبحه العقول السليمة لذلك ذكر لفظة إلهين وأكدها بلفظة اثنين والإثنية لا تصلح ولا تقبلها العقول لوجوه منها " وهو أن أحدهما إما أن يقوى على مخالفة الآخر، أو لا يقوى عليه فإن لم يقو عليه فهو ضعيف، وإن قوي عليه فذاك الآخر إن لم يقو على الدفع فهو ضعيف، وإن قوي عليه فالأول المغلوب ضعيف. فثبت أن الاثنينية والإلهية متضادتان" (١)

ثم يأتي النفي لنوع آخر من أنواع الشرك وهو اتخاذ الولد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[المؤمنون:٩١] فالله تعالى ينفي اتخاذه الولد وذلك رداً على بعض جهال العرب الذين عبدوا الملائكة " وقالوا: هم بنات الله وإنما قدم نفي الولد على نفي الشريك مع أن أكثر المشركين عبدة أصنام لا عبدة الملائكة نظرا إلى أن شبهة عبدة الملائكة أقوى من شبهة عبدة الأصنام لأن الملائكة غير مشاهدين فليست دلائل الحدوث بادية عليهم كالأصنام، ولأن الذين زعموهم بنات الله أقرب للتمويه من الذين زعموا الحجارة شركاء الله" (٢) ، وهذه الدعوى باطلة لأنها مبنية على الحدوث والحدوث يتعارض مع صفات الإلهية ، فيكون الله تعالى قد أبطل كل دعوى الإشراك مثل التثليث عند النصارى ، والأصنام والملائكة كما عند العرب .

المطلب الرابع : الدعوة إلى النظر والاستدلال

العقل هو المخاطب الذي وجّه إليه الله تعالى الخطاب الرباني في القرآن وفي الكتب السماوية التي أنزلت قبل القرآن ؛ لأنه هو سبب التكليف وبارتفاعه يرتفع التكليف ، وبه ميّز الله تعالى بني البشر عن العالمين ، ليتدبروا آيات الله تعالى الكونية والنفسية ، فتقر نفوسهم بما عقلت عقولهم من الحق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] ، فالمقصود من آيات الآفاق هي الآيات الكونية من عالم السماء وما أظلت من آيات كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والليل والنهار والظلمات والنور، وعالم الأرض وما أقلت من الجبال الراسيات والبحار والأنهار الجاريات ومختلف النباتات " وقوله وفي أنفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج٢٠ ، ص٢٢٠ .
٢ – ابن عاشور ، المرجع السابق ، ج١٨ ، ص١١٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة إلى أن تزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم المنزه عن المثل والضد " (١) وهذا النظر ليتحقق العلم المنشود من قوله تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] ، ولا يكون العلم إلا بالأدلة اليقينية ، ومنها الظواهر الكونية والنفسية .

وهذه الظواهر من أكبر الدلائل الحسية المشاهدة التي خاطبت عقل الإنسان بالنظر المستغرق لعظمة هذا الكون ودقة نظامه وجريانه من غير توقف على الهيئة التي نرى من غير تدخل من بني البشر ، وقد حث الله تعالى العباد إلى النظر والتفكر في هذه الايات في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤] ، وقوله تعالى :﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الرعد: ٣] ، والسير والنظر المنشود كما يقول السعدي هو " سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار. وأما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئا " (٢) ، وفي الحديث أن بلالاً رأى الرسول –ﷺ– يبكي فقال له :" يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، لقد نزلت عليّ الليلة آية ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران: ١٩٠] " (٣).

والناظر إلى هذا الكون يرى فيه العجب العجاب من الخوارق والمعجزات التي عجزت عن فهمها الأفهام ، ووقفت عن إدراك كنهها العقول ، فيتقلب البصر بينها لا يستطيع أن يحصيها عدداً ،" وقد بين الله تعالى أن ذوي العقول هم أحرى للهداية، بل علق الله تعالى العقل

---

١ - الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٧ ، ص٥٧٤ .
٢ - السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٥١ .
٣ - ابن حبان ، محمد بن أحمد (المتوفى: ٣٥٤هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ،ج ٢ ، ص٣٨٧ ، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ك ٦٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتذكر والتفكر، وأنه مهما عقل الإنسان وتفكر في آيات الله الكونية لدلته على لب اللباب وزبدة السنة والكتاب، وهو توحيد الإلوهية" (١) .

وقد جمع القرآن الكريم الكثير من الآيات الكونية في كثير من آياته ، والحديث في هذا المطلب صعب أن تحتويه الصفحات القليلة ؛ لأن آيات الله تعالى الكونية لا عدّ لها ولا حصر ، لذا سيكون الحديث في مثال من القرآن الكريم مخافة الطول ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤] ، جمعت الآية الكريمة كثيراً من الآيات الكونية والمخلوقات العجيبة التي استدل الله تعالى بها على وحدانيته مُخبراً أنها " أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته، ينتفع بها أصحاب العقول المتدبرة في آيات الله "(٢).

ومن هذه الآيات خلق السموات والأرض وما فيهن من ظواهر ، وهي الظاهرة الأعظم التي لا تخفى على كل من له بصر وبصيرة ، أقرّ أم أنكر؛ لأن من أنكرها حكم عليه بزوال عقله ، كيف لا وهي آية العقل الأولى ، فارتفاع السماء الذي نراه صباح مساء من غير عمدٍ ، وما حوت السماء من الشمس والقمر والنجوم المسخرات مؤذن بأن من رفعها واحد قادر له القدرة المطلقة دون غيره قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠] ، كذلك آية مد الأرض وما جعل فيها من الجبال الرواسي الشامخات " أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء" (٣) وما فيها من سهول وهضاب ومروج وانهار وبحار " وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق ،

---

١ - محسن ، حامد بن محمد ، **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد** ، تحقيق: بكر أبو زيد ، دار المؤيد ، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ، ج١ ، ص٦٧ .
٢ - السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص٧٨ .
٣ - ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص٣٣٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات " (١).

ثم آية الشمس والقمر وما ينتج عنهما من اختلاف الليل والنهار ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢] ، " أي علامتين يدلان على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء وتدلان على عدد السنين والحساب " (٢) ، فحركة الشمس والقمر الدقيقة ، وتعاقب الليل والنهار بلا اختلال أكبر دليل على أن هذه الدقة والتناسق لا تكون إلا من إله واحد أبدع هذا الخلق العظيم بهذا النظم الفريد .

والإنسان العاقل الذي خصه الله تعالى بالعقل والحكمة لابد له من أن يتدبر آيات الله تعالى في كونه فكلما " تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته " (٣).

لذلك استدل الأعرابي على وجود الصانع من خلال النظر في آثار صنع الله تعالى في الكون من خلال استخدام العقل فقال : " إن البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على وجود الصانع الخبير"(٤) ، بلى ، فكل ما في الوجود ينطق بوحدانية الله تعالى ؛ لذلك أقروا بأن خالق السموات والأرض ومبدعهما هو الله تعالى ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١] ؛ لأن إنكارهم لهذه الشواهد هو تحقير لعقولهم ، ثم هم بعد أن أثبتوا لله تعالى الخلق ولم يثبتوا شيئاً منها لأصنامهم يشركون معه أصنامهم العاجزة .

---

١ - الوعلان ، عبد المجيد بن محمد، **الآيات الكونية دراسة عقدية** ، رسالة ماجستير ، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي ، العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ ، ص ٤٩ .

٢ - الزجاج ، **معاني القرآن وإعرابه** ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص٢٣٠ .

٣ - السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص٧٨ .

٤ – أبو الطيب ، محمد صديق خان(المتوفى: ١٣٠٧هـ) ، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن** ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت ، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، ج ٢ ، ص٢٠٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم ضرب لنا من أنفسنا الشاهد العظيم الذي تحار في تكوينه وتركيبة أجزائه ونظام عمله العقول ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦] فتقف عاجزة أمام عظم هذه الصنعة ، فتقر النفوس بإفراد الصانع العظيم ، لذا جاء الندب للتفكر في هذه النفس، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[الطارق: ٥ – ٧] ، أي " فليتفكر في مبدأ خلقه حتى يتضح له قدرة واهبة ، وأنه إذا قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط ، فهو سبحانه على إعادته أقدر وأقدر" (١) ، وقد بيّن القرآن مراحل تطور خلق الإنسان قبل أن يكتشف العلم حقيقة هذا التكوين منذ أكثر من أربعة عشر قرناً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ ﴾[المؤمنون:١٤] ، فإن مجرد النظر في أصل خلقة الإنسان من طين فإذا هو بعد ذلك يتكون من ماءٍ مصدره صلب الرجل وترائب المرأة تأتي بعد إشباع الرغبة الجنسية ، فتكون بعدها نطفة فعلقة فمضغة مخلقة وغير مخلقة ثم تكون الروح لما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله –ﷺ– وهو الصادق المصدوق قال: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين

يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ... " (٢)

ثم يكون عظاماً ثم يزين هذه العظام باللحم الذي تجري فيه حركة الحياة ، ثم يخرج طفلاً في صورة جميلة تخالف جميع المخلوقات ، ولا يجد العقل أمام هذه الخلقة إلا أن يقول : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ، أليس الأجدر بالإنسان بعد هذه الآيات التكوينية أن يتفكر بهذا العقل " إلى قدرة الله سبحانه وتعالى، في ذاته هو، وإلى قدرة الله سبحانه في إبداع هذه الذات وتصويرها.. فإنه لو نظر بهذا العقل إلى هذا الذي يوجّه إليه من حقائق، لعرف طريق الحق،

---

١ – الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، ج١٥ ، ص٣٠٧ .

٢ – البخاري ، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص١١١ ، رقم: ٣٢٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسلك مسالك الهدى "[1] ، إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى وإفراده عن الشريك والشبيه والند والمثيل .

ومن الأدلة على أن مبدع هذا الخلق هو إله واحد ، عجز الإنسان أن يتدخل في أي مرحلة من مراحل تطوره منذ أن كان نطفة إلى مماته ، بل هو أمام كل هذا التحول يقف عاجزاً لا حول له ولا قوة " فيعلم بذلك أنه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه وأن له صانعا صنعه وناقلا نقله من حال إلى حال " [2] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] ، ضعف الطفولة إلى قوة الشباب ثم ضعف الشيخوخة والمشيب ، وهذه المراحل مشاهدة لا يستطيع احد من الخلق دفعها أو تغييرها .

فينتج عن هذه السكينة والرغبة الفطرية الإنجاب ، فترى من خلاله دلائل الوحدانية ، فمن الذي هدى الطفل إلى ثدي أمه ، ومن الذي انطقه بالحروف والكلمات الدالة على معرفته والديه ، ومن الذي جعله يخاف الخطر وهو لا يدرك معنى الخطر ، إنه الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

ولا نعمة أفضل وأجل من نعمة الهداية إلى التوحيد ؛ لذا كان يقول ابن عباس هي " لا إله إلا الله ظاهرة على الألسن قولا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا ، وباطنة في القلوب، اعتقادا ومعرفة " [3] .

ثم أن الشمس هي سراج النهار وضوءه والقمر هو منارة السائرين في دجى الليل البهيم ، فأي إله هذا الذي أبدع هذه الظواهر ؟ وأي إلهٍ هذا الذي ينفع الناس بما تعجز أن تطوله أيديهم وعقولهم ؟ إنه الله الذي لا يعجزه شيء في السموات والأرض ، دل على ذاته بصفاته ودل على عظمته بأفعاله ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠] ، تعالى الله عما يشركون

---

[1] – الخطيب، عبد الكريم يونس(المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، **التفسير القرآني للقرآن** ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ج١٦ ، ١٥٢٣ .

[2] – ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم ، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ ، ج ١ ، ص١٧٨ .

[3] – انظر – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج ٢٠ ، ص١٤٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم هم بعد هذا يجعلون لله الند والشريك ، وقد هداهم إلى ما يرشدهم إلى طريق الحق والهداية ، فخاطب فيهم العقل للنظر والتفكر والإسترشاد من خلال الخلق والإيجاد لأكبر ظاهرتين كونيتين وهما خلق السموات والأرض وما بث فيهما من عوالم ، ثم ظاهرة خلق النفس البشرية المعقدة التركيب ، الدقيقة الترتيب ، ثم خاطبهم بما ينفعهم ليدلهم على شكره وما شكره إلا بتوحيده في إلوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ؛ لأن من انعم وتفضل أحق أن يفرد بالعبادة ، لكن هذه العقول أصابها سقم العبودية الجهلاء والعناد الغبي ، لأنها عمت عن الحق بعد إقرارها بأن من خلق السموات والأرض هو الله ، وادعت أن له شريكاً في الملك قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] .

المبحث الثاني : الأساليب التي استخدمها القرآن لتقرير كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " .

جاءت آيات الوحدانية في القرآن الكريم بعدة ألوان من فنون الكلام وأساليبه ، وما ذلك إلا لأهمية التوحيد في حياة البشرية ، وحتى يترسخ المعنى الحقيقي لهذه الكلمة في نفوس الناس ومن هذه الأساليب اسلوب القصر والإستفهام والأمر والتكرير.

المطلب الأول : إسلوب القصر

والقصر في اللغة الحبس ، جاء في لسان العرب : " وقصر الشيء يقصره قصراً :حبسه ، قال الله تعالى ﴿حورٌ مقصوراتٌ في الخيام﴾ أي : محبوسات في خيام من الدر ، مخدرات على أزواجهن في الجنات ، وامرأة مقصورة أي مخدرة ، وقال الفرّاء في تفسير مقصورات ، قال : قصرن على أزواجهن ، أي حبسن فلا يُردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم " (١) .

وفي الاصطلاح " إثبات الحكم للمذكور في الكلام ونفيه عما عداه، أو هو تخصيص أمر بأمر " (٢) ، فلا يتعداه إلى غيره .

ولمّا كان التوحيد أولى أن يقصر على الله تعالى وحدة جاء القصر مع آيات الوحدانية ، حيث قصرت بعدة طرق من طرق القصر ومنها :

---

١ – انظر– ابن منظور ، **لسان العرب** ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص٩٨–٩٩.

٢ – المراغي ، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»**، الطبعة والنشر بلا ، ج١ ، ص١٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : القصر بـــ (لا) و (إلا) : " (لا) النافية للجنس التي تدلُّ على نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها على سبيل الاستغراق، اي يرادُ بها نفيُهُ عن جميع افراد الجنيس نصّاً؛ لا على سبيل الاحتمال. ونفي الخبر عن الجنس يَستلزم نفيَه عن جميع أفراده "(١) ، و(إلا) التي تفيد القصر وهي الأكثر استخداماً مع كلمة التوحيد في القرآن الكريم حيث بلغت سبعاً وثلاثين مرة في ستٍ وثلاثين موضع ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد: ١٩] ، وكان سياق الآيات التي جاءت فيها تقريراً للوحدانية ، فمعنى " لا إله إلا هو : هو توكيد لمعنى الوحدانية ونفي الإلهية عن غيره ، وهي جملة جاءت لنفي كل فرد فردٍ من الآلهة ، ثم حصرت ذلك المعنى فيه تبارك وتعالى " (٢) وتكرر القصر مرتين في آية سورة آل عمران بقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ١٨] ، وذلك زيادة في توكيد الوحدانية لله تعالى بنفي الإلهية لغيره وإثباتها له تعالى ،" فدَلَّت الآيَة الأُولى عَلى نسبَة الوَاحِدِيَّة إليه تَعالى ، ودلّت الثَّانيةُ على حصر الإلهيَّة فيه من اللَّفظ النَّاص على ذلك ، وإن كانت الآيَةُ الأولى تستلزم ذلك، لأنَّ من ثَبتَت له الوَاحِدِيَّة ثَبتَت له الإلهية "(٣) .

ثانياً : القصر بـــ (ما) و(إلا) : جاء القصر بـــ (ما) و(إلا) في ثمانية مواضع مع كلمة التوحيد في القرآن الكريم (٤) ، ومثاله مع كلمة التوحيد قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣] ، وجاءت جميعها على لسان الرسل في دعوتهم أقوامهم لترسيخ معنى الوحدانية في نفوس أقوامهم ، " {مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ} فيه إبطال ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى " (٥) ، أي ما لكم من إله إلا الله ؛ لأن

---

١ – الغلاييني ، مصطفى بن محمد سليم (المتوفى: ١٣٦٤هـــ) ، **جامع الدروس العربية** ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـــ – ١٩٩٣ م ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

٢ – أبو حيان ، **البحر المحيط في التفسير** ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٧٤ .

٣ – المصدر ذاته ، ج٢ ، ص٧٤ .

٤ – وردت في سورة الأعراف ٥٩/ ٦٥/٧٣/٨٥ ، وسورة هود ٥٠ /٦١ /٨٤

٥ – السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص٥٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(غيره) تعمل عمل (إلا) " وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد إلا أي ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد إلا زيد أو غير زيدٍ" (١).

ويتبع (ما) أحياناً (من) الزائدة الإستغراقية التي تفيد قوة التوكيد لنفي جميع أجناس الآلهة وإثباتها لله تعالى بواسطة أداة القصر (إلا) ، نحو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥] ، " وإنَّما قدَّم النَّفي على الإثبات ، لغرض إثبات التَّوحيد، ونفي الشُّركاء والأنداد" (٢).

ثالثاً : القصر بـــ (إنما) : وجاءت في خمسة مواضع (٣) نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨] ، حيث اشتملت الآية على أكثر من قصر " الأول : بـــ (إنما) قصر فيه الإلهية على الله تعالى ، وذكر لفظ الجلالة بصفات جلاله وكماله ، ثم ترقى في التأكيد والحسم الجازم فكان القصر الثاني في شهادة التوحيد – لا إله إلا الله "(٤) .

﴿ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وجميعها جاءت لتؤكد أمراً ليس مجهولاً عند جميع الأمم وهو وحدانية الله ؛ لأن" الأصل في إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره وإنما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة " (٥) ، لذا أكد على نفي الإشراك سواء إلهين كما قالت اليهود عزير ابن الله أو قول النصارى الله ثالث ثلاثة أو مشركوا العرب باتخاذهم الأوثان ، جاء القصر بإنما ؛ لأن من شأنها " إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة " (٦) ، وارتقى في التأكيد بأن زاد في كل منها بلفظة (إله واحد) .

---

١ – أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٣٥ .
٢ – أبو حيان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص٧٦ .
٣ – وردت في سورة الأنعام :١٩ ، النساء : ١٧١ ، الأنبياء : ١٠٨ ، النحل ٥١ ، طه٩٧.
٤ – دراز ، **أساليب القصر في القرآن الكريم وأسراها البلاغية** ، مرجع سابق ، ص ١٧٥
٥ – أبو حيان ، المرجع السابق ، ج١ ، ص١٥٤ .
٦ – القزويني ، محمد بن عبد الرحمن (المتوفى: ٧٣٩هـ) ، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، ج٣ ، ٣٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن لطائف هذه الآية أنها ترقت في دلائل الوحدانية كما يقول الرازي " قوله قل إنما هو إله واحد وكلمة إنما تفيد الحصر، ولفظ الواحد صريح في التوحيد ونفي الشركاء. وثالثها: قوله إنني بريء مما تشركون وفيه تصريح بالبراءة عن إثبات الشركاء فثبت دلالة هذه الآية على إيجاب التوحيد بأعظم طرق البيان وأبلغ وجوه التأكيد " (١).

المطلب الثاني : اسلوب الأمر والاستفهام

أولاً : الأمر : بعد أن جعل الله تعالى الأدلة الساطعة والحجج الدامغة على وحدانيته ، وأرسل الرسل بالكتب السماوية لتقرير الوحدانية ، أمر الله تعالى العباد أن يفردوه بالعبودية في كثير من آيات الوحدانية في القرآن الكريم (٢) ، للدلالة على أن هذا الأمر – التوحيد – هو رأس الأمر وأساسه فلا يقبل عمل عامل ما لم يحقق معنى هذه الكلمة – لا إله إلا الله – ولو برهة في حياته ، ومن خلال سياق الآيات التي جاء فيها الأمر مع كلمة التوحيد يتبين أنه أفاد ما يلي :

١- الأمر بالعبادة لأنه تعالى المستحق لها بإقامة الدلائل على ذلك ، قال تعالى ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ، ورد الأمر بالعبادة بعد أن بيّن صفات الربوبية من الخلق وغيره " لأن من استجمعت فيه هذه الصفات كان جديراً بالعبادة وأن يفرد بها فلا يتخذ معه شريك " (٣) ، والأمر بالعبادة هنا يعني فأقروا له بالوحدانية " كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦] مَعْنَاهُ لِيُوَحِّدُونِ "(٤) ، وكذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] ؛ لأن العبادة " تجمع معنى العمل الدال على التعظيم من قولٍ وفعلٍ وإخلاص بالقلب، ووجه التفريع أن انفراده تعالى بالإلهية يقتضي استحقاقه أن يعبد " (٥) .

٢- الأمر بإخلاص الدعاء لله والنهي عن الإشراك في الدعاء ، وعدم التذلل لغير الله في السؤال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥]

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج١٢ ، ص٤٩٩ .
٢ – وردت في سورة الأنعام : ١٠٢ /١٠٦ ، وسورة طه:١٤ ، وسورة غافر:٦٥ ،وسورة المزمل :٩ ، سورة الرعد :٣٠ ، محمد :١٩ ، الأعراف :١٥٨ .
٣ – أبو حيان ، **البحر المحيط** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص٦٠٥ .
٤ – المصدر ذاته ، ج ٧ ، ص٣١٧.
٥ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج١٦ ، ص٢٠٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء الأمر بالدعاء إلى الله ، على أن يكون هذا الدعاء خالصاً لله ، بعد تقديم الدلائل على وحدانيته وأنه المستحق لأن يفرد بالعبادة ؛ لأن الدعاء عبادة " يلازمها السؤال والنداء في أولها وفي اثنائها غالباً ، لأن الدعاء عنوان انكسار النفس وخضوعها "(١) .

٣- الأمر بالتوكل على الله لأنه هو المدبر لشؤون الخلق والمتوكل بتصريف أمورهم قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩] " وبعدما تبين أنه رب المشرق والمغرب وأنه إله واحد ،لا ينازعه أحد في ملكه شيئاً ، جاء الأمر باتخاذه وكيلاً إشعاراً بقُوَّة النَّهي عن اتّخاذ وكيل غيره ، إذ ليس غيره بأهلٍ لِاتّخاذه وكيلًا "(٢) .

٤- الأمر بالثبات على الوحدانية قال تعالى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد:١٩] ، أي "اثبت على ذلك واستمرعليه "(٣) ؛ لأن لهذا العلم ثمار وظلال فيه يحصل الخير وتتنزل البركات ، ويتبين من سياق الآية الكريمة أن الأمر جاء ليحقق للمؤمنين خير العلم بوحدانية الله تعالى ؛ لأنه لا يغفر الذنوب ولا يقبل التوب إلا الله تعالى .

ثانياً : إسلوب الإستفهام :

إن من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم بكثرة لتؤدي من خلال سياقها في الآيات معاني وأغراض كثيرة اسلوب الإستفهام ، وبرز استخدام الاستفهام في آيات الوحدانية ليقرر معاني أفادها من خلال السياق ومنها :

١- **استفهام أفاد الأمر :** كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٤] ، فحرف الاستفهام (هل) " خرج إلى الأمر " (٤) ، وذلك لأنهم لما استكبروا عن الإجابة ذكر لهم أن هذا القرآن منزل من الله تعالى ، ثم بيّن لهم أن هذا الإله الذي أنزل القرآن هو المستحق للعبادة دون غيره ، ثم ذيّل الآية بحرف الإستفهام (هل)

---

١ – المصدر ذاته ، ج٢٤ ، ص١٩٣.
٢ – انظر – ابن عاشور ، المصدر السابق ، مرجع سابق ، ج٢٩ ، ص٢٦٧.
٣ – ابن عاشور ، **المصدر السابق** ، ج ٢٦، ص١٠٤.
٤ – يوسف ، عبد الكريم محمود ، **اسلوب الإستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه** ، مطبعة الشام – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م ، ص ٧٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يفيد الأمر ، أي بمعنى " فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة " (١) ، ومثل هذا الاستفهام جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] .

٢- **استفهام أفاد النفي :** كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ ﴾ [الرعد: ١٦] ، جاء الإستفهام بـــ (من) " الذي أفاد نفي الربوبية لغير الله تعالى " (٢) ، وذلك بعد أن استفهم منهم عن خالق السموات والأرض ، أجاب بأنه الله تعالى ؛ لينفي أن يكون غيره نفياً قاطعاً علماً بأنهم يقرون بذلك .

٣- **استفهام أفاد الإنكار :** وقد ورد في كثير من الآيات التي تنكر أن يكون ثم آلهة من دون الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٨] ، والاستفهام في همزة (أَتَقُولُونَ) إنكار و" توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم " (٣) ؛ لأنهم قالوا على الله بما لا يعلمون له حجة أو برهان ، وجاء استفهام الإنكار في معرض الإنكار عليهم أن يتخذوا مع الله آلهة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩] فالاستفهام في همزة (أَئِنَّكُمْ) تفيد " الجحد والإنكار " (٤)

٤- **استفهام أفاد التوبيخ والتبكيت :** كما في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ

---

١ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٥ ، ص٢٦٢ .
٢ – يوسف ، **المصدر السابق** ، ص ٢٧ .
٣ – البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١١٩ .
٤ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، **مصدر سابق** ،ج١٢ ، ص٤٩٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦] ، فالهمزة في كلمة (ءَأَنتَ) " استفهام لتوبيخ الكفرة وتبكيتهم "(١) ، وهذا التبكيت لأن النصارى يعتقدون بأن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ليس الله بل عيسى ، فكان الاستفهام تقريعاً للنصارى على دعواهم ، فكان الرد من عيسى بمثابة التوبيخ والتبكيت لهم " إن كنت قلته فقد علمته ، وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق " (٢) .

٥- **استفهام أفاد التقرير :** وغالباً ما يأتي مع آيات توحيد الربوبية ؛ لأنه لم يكن هنالك إشكالية في إقرارهم بالربوبية كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣] ، فالاستفهام في (هل) يفيد التقرير أي " ثم استفهم على جهة التقرير، هل من خالق غير الله ، أي : فلا إله إلا الخالق " (٣).

المطلب الثالث :التكرار

جاءت كلمة التوحيد في القرآن الكريم بأعلى درجات التوكيد لتقرير الوحدانية في نفس المتلقي لها ، والتوكيد هو" تكريرٌ يُراد به تثبيت أمر المكرَّر في نفس السامع "(٤) .

وقد ظهرت أهمية التوكيد من خلال السياق لآيات التوحيد التي جاءت مؤكدة مثل قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وهنا جاء بالتوكيد اللفظي حيث كرر كلمة التوحيد مرتين بلفظها ، وقد ذكر العلماء الكثير من فوائد هذا التكرير في هذه الآية منها :

١- العلم بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة ؛ " ذكر قوله لا إله إلا هو أولاً : ليُعلم أنه لا تحق العبادة إلا لله تعالى، وذكرها ثانياً : ليثعلم أنه القائم بالقسط لا يجور ولا يظلم "(٥).

---

١ – يوسف ، **اسلوب الإستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه** ، مرجع سابق ، ص ٤١ .
٢ – الرازي ، **المصدر السابق** ، ج ١٢ ، ص٤٦٦ .
٣ – أبو حيان ، **البحر المحيط** ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص١٣ .
٤ – الغلاييني ، **جامع الدروس العربية** ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٣١ .
٥ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، **مصدر سابق** ، ج ٧ ، ص١٧٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ومن فوائد التوكيد في هذه الآية أن الآية الأولى " وصفٌ وتوحيد ، والثانية رسمٌ وتعليم ، يعني قولوا لا إله إلا الله العزيز الحكيم" (١) .

٣- وقد دلّ التكرير في هذه الآية على " الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبني عليه قوله: العزيز الحكيم فيعلم أنه الموصوف بهما " (٢) .

٤- ومن فوائد التكرير في هذه الآية الاختصاص والإثبات " للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين " (٣) .

٥- ومن فوائد التكرير " تمجيدٌ وتصديق ، نشأ عن شهادة الموجودات كلها له بذلك فهو تلقين الإقرار له بذلك "(٤) .

ومثال آخر يظهر من خلاله فوائد أخرى للتوكيد قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١] ، في هذه الآية توكيدان الأول يفيد النهي عن اتخاذ إلهين اثنين والثاني يفيد إثبات أن الإله الحق هو إله واحد " فذكر اثنين توكيدا لإلهين كما ذكر واحدا توكيدا في قوله إنَّما هو إلهٌ واحدٌ وقال غيره: التقدير ولا تتّخذوا اثنين إلهين " (٥) ، والفائدة الأخرى" أنَّ الشَّيء إذا كان مستنكرًا مستقبحًا، فمن أراد المبالغة في التَّنفير عنه عبَّر عنه بعبارات كثيرة لِيصير تَوالي تلك العبارات سببًا لوقُوف العَقل على ما فيه من القُبح " (٦) ؛ لأن من أساليب العرب في تأكيدهم لكلامهم " أن يأتوا بعده بالمراد فيقولون: فلان قسيم وسيم، وفلان حسن بسن، وفلان شيطان ليطان، يريدون تأكيد الصفة " (٧) .

---

١ – القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ٤٣ .
٢ – البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التاويل** ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص٩ .
٣ – الزمخشري ، **الكشّاف** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص٣٤٦ .
٤ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٨٧ .
٥ – النَّحَّاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٣٣٨هـ)، **إعراب القرآن** ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ، ج٢ ، ص ٢٥١ .
٦ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج٢٠ ، ص٢١٩ .
٧ – الشعراوي ، **تفسير الشعراوي** ، مرجع سابق ، ج١٣ ، ٧٩٩٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع : نماذج من مواقف بعض الأمم من كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "

المبحث الأول : موقف فرعون وبني إسرائيل من الدعوة إلى التوحيد :

بعث الله تعالى موسى –عليه السلام– برسالة التوحيد إلى فرعون وبني إسرائيل ليخرجهم مما هم فيه من الإستعباد لمخلوق ضعيف من مخلوقات الله ، غره أن أتاه الله الملك ، واستمراء قومه للذل والعبودية واستخفافه بهم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] ، فالله تعالى يختار موسى للرسالة ، ويعرفه بذاته العلية بأنه هو الإله الواحد المستحق للعبادة والطاعة ؛ وذلك بعد أن تأله فرعون على الله تعالى وادعى الإلوهية ، ومرت دعوة موسى بمرحلتين هامتين :

المرحلة الأولى : موقف فرعون وملئه من دعوة التوحيد .

المرحلة الثانية : دعوته لبني إسرائيل .

المطلب الأول : موقف فرعون وملئه من دعوة التوحيد :

جاء الأمر الإلهي لموسى –عليه السلام– أن ينذر فرعون وملئه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤] ، وأي طغيان أكبر من أن يدعي الإلوهية ويستخف قومه بكلام من غير دليل قائلاً : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] ، فيرسل الله تعالى موسى –عليه السلام– ويشرك معه هارون في التبليغ ويعلمهم اسلوب الدعوة إليه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤] ، " كلاماً باللين والشفقة والرفق، لأن الرؤساء بكلام اللين أقرب إلى الانقياد من الكلام العنيف " (١) ، ويزوده بالآيات الدالة على وحدانيته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ [طه: ٤٧] " واقتصر على أنهما مصاحبان لآية إظهارا لكونهما مستعدين لإظهار الآية إذا أراد فرعون ذلك. فأما إن آمن بدون احتياج إلى إظهار الآية يكن إيمانه أكمل، ولذلك حكي في سورة الأعراف [١٦] قول فرعون: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:

---

١ – السمرقندي ، **بحر العلوم** ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص٤٠٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٦] ، وهذه الآية هي انقلاب العصا حية، وقد تبعتها آيات أخرى "(١) ، وفي آية أخرى أرسل الله تعالى إلى فرعون وملئه تسع آيات ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢] ، " كانت الآيات إحدى عشرة، اثنتان منها اليد والعصا، والتسع: الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم" (٢) .

ولكن هذا الإسلوب ما زاده إلا استكباراً فيبادرهم بسؤال المنكر لما جاءوا به قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٩] ، وفي آية أخرى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] ، فيجيبه موسى –عليه السلام– بقوله :﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء:٢٤] ، فيفض عليه من أدلة الكون المحسوسة ، وأعظم الشواهد على توحيده ، وهما السموات والأرض وما فيهن من الآيات ، فيكون الجواب من فرعون كما هو المعهود من المكذبين من قبله التعجب الغبي من الأمر الجلي ﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴾[الشعراء:٢٥] ، فلمّا ضيّق عليه الخناق قال فرعون " ألا تَسْتَمِعُونَ على وجه الإغراء والتعجب من شنعة المقالة، إذ كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم " (٣) ، ثم تدرج موسى –عليه السلام– في المحاجة مما اضطر فرعون إلى نعته بالجنون ، فأجابه موسى عليه السلام عن هذا بأن قال: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨] ، " أي ليس ملكه كملكك، لأنك إنما تملك بلد واحدا لا يجوز أمرك في غيره، ويموت من لا تحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب " (٤) ، ثم يأتي بعد هذا الحجاج التهديد من فرعون بعدما أعلن إفلاسه أمام هذه الأدلة والبراهين ، بأنه سيعذب موسى إن اتخذ إلهاً غيره ، إلا أن موسى يطلب فرصة ليريه الآية الكبرى ، فجمع السحرة إلى موعدٍ بينهما : ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٣ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ

---

١ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج١٦ ، ص٢٢٩ .
٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٤ ، ٥٤٦ .
٣ – ابن عطية ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، مصدر سابق ، ج٤ ،ص٢٢٩ .
٤ – القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٣ ، ص٩٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الشعراء:٣٢ – ٣٣] ، فبطل سحرهم وخروا ساجدين ، فما كان من فرعون إلا أن نادى نداء المجانين ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] ، وكان الأجدر أن يقر بالإلوهية لله تعالى لا أن يصر في عناده " لأن عند ظهور الذلة والعجز، كيف يليق أن يقول: أنا ربكم الأعلى فدلت هذه الآية على أنه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول " (١) ، فأعلن الحرب على من آمن من السحرة ، فتوعدهم بتقطيع الأوصال والصلب في جذوع النخل ، واستخدم حرف الجر (في) زيادة في شدة الصلب وكأنهم ألصقوا في داخل جذوع النخل ، " فشبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه"(٢) ، إلا أن هذا التهديد لم يثنيهم عن الحق بعدما تبين لهم بالدليل القاطع ، فقالوا : ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه: ٧٢] ، أي لن نفضلك بالطاعة والعبادة على ما جاءنا من الآيات البينات الدالة على وحدانية الله تعالى ، ولا تكثر من التهديد فلن يجدي نفعاً معنا ؛ لأنك إنما تقضي ما توعدت من العذاب في الحياة الدنيا ، وليس لك سلطان في الآخرة التي هي مبتغانا ، لذا جاءت باداة القصر (إنما) التي قصرت وعيده في الحياة الدنيا .

فأرسل فرعون في المدائن يحشد الناس لقتال موسى –عليه السلام– ومن معه ، فلّما ترآءا الجمعان خاف أصحاب موسى من فرعون وملئه فقالوا :﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] ، فيجيبهم موسى –عليه السلام– جواب الواثق بربه المتيقن من نصره ، إن الله معي هو مصدر الهداية والإلهام وهو باعث الطمأنينة والأمان ، فيأتي الأمر الإلهي أن اضرب بعصاك البحر ، فيكون لك النصر بضربها والهلاك غرقاً لفرعون وملئه ، حينئذٍ يسقط قناع الكبر والجبروت عن إله الفراعنة المتكبر فيستغيث إستغاثة الملهوف ، ويؤمن إيمان المجبر قائلاً : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] ؛ ولأن سنة الله في المكذبين أن يستأصلهم بعدما رأوا الآيات البينات وأنكروها وكذبوا بها وسخروا من الرسل الذين جاءوا بها ، كان حقاً على الله أن يغرق فرعون ويجعله آية لمن خلفه قَالَ تَعَالَى:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٣١ ، ص٤١ .
٢ – المصدر ذاته ، ج ٢٢، ص ٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٢] ، فهل من معتبر مما حل بفرعون ، ويا للأسف ما أكثر الفراعنة من بعد عهد فرعون .

المطلب الثاني : موقف بني إسرائيل من دعوة التوحيد

بعد أن منّ الله تعالى على بني إسرائيل بالنعم ، حيث حررهم من الإستعباد لآل فرعون بأن كانوا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٦] ، حيث روي أن فرعون كان يستعبد قومه ويذيقهم شر العذاب ، يقتل المواليد الذكور ويستبقي الإناث " وكانت الحوامل عنده مدونات، والقوابل يغدون عليهن ويرحن. وعندهم رجال قد شدوا أوساطهم، وجعلوا فيها السكاكين التي يذبحون بها الولدان. وأيديهم مخضبة بالدماء " (١) ، ثم أكرمهم بأن أنجاهم من الغرق عندما تبعهم فرعون وجنوده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] ،ثم أورثهم مشارق الأرض ومغاربها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] ، أي جعلنا لهم السيادة من بعد آل فرعون على " مصر والشام التي باركنا فيها بالماء والأشجار والثمار " (٢) .

ثم يأمر الله تعالى موسى –عليه السلام– أن يخرج قومه من الضلالة إلى الهدى بعدما رأوا الآيات البينات التي جاءهم بها من قبل إلى فرعون وملئه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ﴾ [إبراهيم: ٥] ، والمقصود بتذكيرهم بأيام الله أي تذكيرهم بنعم هذه الأيام التي مرت بهم " لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلةً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعدَ ما كانوا فيما

---

١ – القيرواني ، مكي بن أبي طالب حَمّوش(المتوفى: ٤٣٧هـ) ، **الهداية إلى بلوغ النهاية** في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، الطبعةالأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، ج ٥ ، ص٣٧٧٦ .

٢ – الثعلبي ، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص٢٧٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانوا فيه من العذاب المُهين، وغرَّق عدوَّهم فرعونَ وقومه، وأوْرَثهم أرضهم وديارهم وأموالهم " (١) .

ثم إنهم سرعان ما نكثوا موعدهم لموسى –عليه السلام– وغرر بهم السامري فعبّدهم العجل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١] ، فظلمتم أنفسكم بكفركم أن عبدتم العجل وأطعتم السامري ، فأمهلكم الله تعالى من بعد ذلك لعلكم ترجعون عما أنتم عليه من الضلال ، فبين لكم كفارة كفركم بأن تقتلوا أنفسكم توبةً إلى الله تعالى حتى عفا عنكم وتاب عليكم ، إلا أن فطرتكم المجبولة على الجدال وكثرة السؤال سبقت ، فها أنتم تضعون الشروط الجدلية لإيمانكم ، فتارة تعلقون إيمانكم برؤية الله تعالى جهرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] ، وذلك أنه لمّا عاد موسى –عليه السلام– من ميعاد ربه حاملاً معه الألواح طلبوا منه أن يروا الله كما رآه فقالوا " إنك قد رأيت الله فأرناه حتى ننظر إليه، فقال لهم: إني لم أره، وقد سألته أن أنظر إليه، فتجلى للجبل، فدك الجبل، فلم يصدقوه وقالوا: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة " (٢) ، فأماتهم الله تعالى بقولهم بالصاعقة ثم أحياهم لعلهم يشكرون ، أن أحياهم بعد الموت إمهالاً للتوبة .

وبعد أن أحياهم يذكرهم بمجمل النعم التي أنعم عليهم بها ، من تظليل الغمام في الحر ومن إنزال المنّ والسلوى ، ثم يذكر بعض الصفات الملازمه لهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١] ، فقد استحقوا الذلة والمسكنة والغضب من الله تعالى ؛ وذلك لأنهم يكفرون جحوداً بمعجزات الله تعالى ، ويقتلون الأنبياء بغير وجه حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

ثم يبين اسلوب المماطلة والمجادلة التي عُرف بها بنو إسرائيل ، من خلال مماطلته في تنفيذ الأمر الرباني بقتل بقرة كفارة لذنبٍ اقترفوه ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

---

١ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج ١٦ ، ص٥١٩ .
٢ – السمرقندي ، **بحر العلوم** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص٥٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧] ، حيث أكثروا السؤال فشددوا فيه فشدد الله عليهم ، ثم قست قلوبهم وكان الأليق بها أن تلين بعدما رأت من الآيات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة:٧٤] " والقسوة: الصلابة واليبس، وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من إحياء القتيل وتكلمه وتعيينه لقاتله، والإشارة بقوله: من بعد ذلك إلى ما تقدم من الآيات الموجبة للين القلوب ورقتها " (١) .

فلمّا تنكروا لما ذكروا به من النعم والمواعظ والأوامر والنواهي ، أخذهم الله تعالى بالعذاب الشديد فجعلهم قردة خاسئين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] ، فلمّا أصروا على الفسق والعناد " مسخهم مسخ خلق وبدن فكانوا قردة بالفعل، أو مسخ خلق ونفس، فكانوا كالقردة في طيشها وشرها وإفسادها لما تصل إليه أيديها، والأول قول الجمهور، والثاني قول مجاهد قال: مسخت قلوبهم فلم يوفقوا لفهم الحق " (٢) ، ثم يبين الله تعالى حالهم بأن سلط عليهم من يذلهم إلى يوم القيامة لأنهم استمرأوا الإنحراف عن الحق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧] " وتأذّن أي أعْلم الله إعلاماً مؤكداً بأنكم يا بني إسرائيل ستظلون على انحراف دائم، ولذلك سيسلط الله عليكم من يسومكم سوء العذاب " (٣) ، ومن قرأ تاريخ بني إسرائيل يجد أنهم ما كانوا في أمة من الأمم إلا وكانوا منبوذين محتقرين ، وذلك من صنيع غدرهم ومكرهم وحبهم للغدر والفتنة .

وهكذا نرى أن بني إسرائيل تنكروا لأنعم الله تعالى عليهم ، وجحدوا الآيات البينات التي عايشوها ، وبدلوا الحق بالباطل بأن قالوا : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وآذوا موسى –عليه السلام– مع علمهم بأنه رسول من الله مؤيد بالمعجزات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: ٥] ، فلا ينفع معهم لين

---

١ – الشوكاني ، **فتح القدير** ، مصدر سابق ، ج ١، ص١١٨ .
٢ – رضا ، **تفسير المنار** ، مرجع سابق ، ج٩ ، ص٣٢٠ .
٣ – الشعراوي ، **تفسير الشعراوي** ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص٤٤١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يجدي بهم الجميل ولا يقروا بقوة الدليل ، لذا مسخهم الله وقطعهم أمماً وسلط عليهم الأمم جزاءاً بما كانوا يعملون .

المبحث الثاني : موقف اليهود والنصارى والعرب المشركين من الدعوة إلى التوحيد

المطلب الأول :موقف اليهود من دعوة التوحيد :

شاءت إرادة الله تعالى أن يجعل آخر رسالاته في جزيرة العرب ، حيث يساكنهم اليهود الذين فسدت عقيدتهم ، وتلوثت أخلاقهم ، وهم الذين كان عندهم علم الكتاب وصفات النبي الذي يبعث في آخر الزمان ، إلا أنهم وكما تحدثنا عن قصتهم مع موسى –عليه السلام– لا يستقيمون على أمر ، فحرفوا دينهم وتقولوا على الله إفكاً وعدواناً فقد نسبوا لله الإبن فقالوا : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ، وعزير رجل من صالحيهم أوتي حظاً من التوراة بعدما رفعت عنهم ، فقالوا : " ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه " (١) ، فيصف الله تعالى هؤلاء اليهود لنبيه مظهراً عقيدتهم الفاسدة ذلك بأنهم نبذوا التوراة وراء ظهورهم واتبعوا أحبارهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] ، " (أربابا من دون الله) ، يعني: سادةً لهم من دون الله ، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم " (٢) .

وببعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– بانت ضغائنهم وسوء نياتهم ، فلّما دعاهم إلى التوحيد نقموا من المؤمنين توحيدهم الخالص بالله وإيمانهم بكتبه ورسله ؛ لأنهم ينكرون نبوة عيسى –عليه السلام– فكان الرد من الله تعالى إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٥٩] ، " الاستفهام للإنكار والتبكيت ؛ أي قل أيها الرسول مخاطبا ومحتجا على أهل الكتاب: أي هل عندنا شيء تنكرونه وتعيبونه علينا، وتكرهوننا لأجله ، إلا إيماننا الصادق بالله، وتوحيده وتنزيهه، وإثبات صفات الكمال له، وإيماننا

---

١ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٤ ، ص٢٠٤ .
٢ – المصدر ذاته ، ج١٤ ، ص٢٠٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بما أنزله، وبما أنزله من قبل على رسله" (١) ، وسبب هذا النقم هو الحسد المحض ، فقد آذوا موسى من قبل وأنكروا البينات ، فخسروا الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٩] ، وهم مع كل هذا الحسد تراهم يخادعون ويكذبون ويدعون الإيمان قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٦١] حيث نزلت هذه الآية في جماعة من اليهود " كانوا يدخلون على الرسول عليه الصلاة والسلام ويظهرون له الإيمان نفاقا، فأخبره الله عز وجل بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بقلبهم شيء من دلائلك وتقريراتك ونصائحك وتذكيراتك " (٢).

وكلما جاءهم النبي -ﷺ- بحجة اختلقوا الأقاويل على الله تعالى وزادوا عتواً ونفوراً وطغياناً وكفراً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، فالله تعالى يعلم النبي -ﷺ- أن هذا الطبع هو خلق عند اليهود وأنهم " أهل عتوّ وتمرُّدٍ على ربهم، وأنهم لا يذعنون لحقّ وإن علموا صحته، ولكنهم يعاندونه، يسلّي بذلك نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم عن الموجِدة بهم في ذهابهم عن الله، وتكذيبهم إياه " (٣) .

وكان أساس الحوار الذي دعاهم إليه النبي -ﷺ- هو الإتفاق على توحيد الإلوهية والربوبية وعدم الإشراك مع الله آلهة أو أرباباً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ٢١] ، فقد دعاهم إلى كلمة عليها يقوم اللقاء ومن خلالها يبدأ الحوار وهي إفراد الله تعالى بالإلوهية – أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا – وإلى توحيد الربوبية – وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

---

١ – رضا ، **تفسير المنار** ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص٣٦٩ .
٢ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص٣٩٢ .
٣ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص٤٥٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ –واتخاذهم الأرباب من دون الله بأن أذعنوا لهم بالطاعة فيحرموا ما حرموا ويحلوا ما احلوا ، وليس هذا بالغريب عليهم فقد عبدوا العجل من قبل ، إلا أن هذا الحوار لا يروق لهم ؛ لأنهم ليس لهم حجة فيلجأون كعادتهم إلى الخداع والمكر ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾.[آل عمران :٧٢] ، فعن ابن عباس قوله: " أنّ طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم أوّل النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم، لعلهم يقولون: هؤلاء أهلُ الكتاب، وهم أعلم منا! لعلهم ينقلبون عن دينهم، ولا تُؤمنوا إلا لمن تَبع دينكم" (١).

ويدل هذا على شديد عداوتهم للمؤمنين ، فقد فضح الله تعالى نواياهم وأعلن عما في سرائرهم من الحقد والعداوة فقال تعالى :﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: ٨٢] ، وما هذه العداوة إلا" لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى، وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق، وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم " (٢) ، إلا أن الله استثنى منهم جماعة عرفت الحق ولزمته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩] ، منهم عبد الله بن سلام وغيره من اليهود ، اما الصنف الأول فقد وصفهم الله تعالى بأنهم شر البرية كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾ [البينة: ٦] ، أي " هم شر الخليقة على الإطلاق، إذ منكر الحق بعد معرفته، وقيام الدليل عليه منكر لعقله، جالب لنفسه الدمار والوبال "(٣).وذلك لأن اليهود بعد كل هذه الدلائل والبينات والتي كان يجب أن تكون سبباً لهدايتهم أنكروها وجحدوها وافتروا على الله بالباطل ، فاستحقوا أن يكونوا هم شر الناس

---

١ – الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج٦، ص٥٠٨.
٢ – البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص١٤٠ .
٣ – المراغي ، **تفسير المراغي** ، مرجع سابق ، ج٣٠ ، ص٢١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الإطلاق ، لذا استحقوا الوعيد بالعذاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١] ، وهذه هي أعمال اليهود ، فقد كفروا بالآيات التي جاء بها موسى –عليه السلام– ، وجعلوا لله الإبن وقتلوا الأنبياء وتآمروا على قتل النبي –ﷺ– ، ويصدون الناس عن الحق ويبغضون أهله ، لذا كان حقاً على الله أن يعذبهم العذاب الأليم بما قدمت أيديهم .

المطلب الثاني :موقف النصارى من دعوة التوحيد :

لا تختلف عقيدة النصارى عن عقيدة اليهود في التوحيد كثيراً ، فبعد أن قالت اليهود عزير ابن الله ، قالت النصارى المسيح ابن الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] ، فأرسل الله تعالى عيسى ابن مريم –عليه السلام– من بعد موسى –عليه السلام– بالبينات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الصف:٦] ، وجاءهم بالمعجزات الدالات على صدق نبوته ، من تكليم الناس في المهد ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ويبرئ الأكمه والأبرص ويخرج الموتى بإذن الله تعالى ، ثم هم بعد تلك المعجزات يقولون إن هذا إلا سحر مبين ، ولا تنقطع الآيات عنهم فقد طلبوا مائدة من السماء لحاجتهم إليها ولتكون سبباً لطمأنينتهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] ، فانزل الله تعالى المائدة لتكون دليلاً معايناً " ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَٰكِن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، فإن مشاهدة مثل هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا "(١) .

ثم خلف من بعدهم خلف بدلوا دين الله ، وتعصبوا في عيسى -عليه السلام- وسيطر على عقولهم غلوهم فقالوا بغير حق إن الله هو المسيح ابن مريم ،فحذرهم الله تعالى من هذا الإفك العظيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء : ١٧١] ، فلا تعظموا المسيح رداً على ذم اليهود له ، لذلك نهانا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نطريه كما أطرت النصارى ابن مريم لحديث ابن عباس أنه سمع عمر -رضي الله عنه- يقول على المنبر سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول :" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ورسوله " (٢)، ثم يحذرهم أن يفتروا على الله بالباطل " وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلها، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى" (٣) ، فكيف لكم أن تقولوا هذا القول وتدعون الحلول والإتحاد وأنتم تعلمون علم اليقين أن الله إلهٌ واحد لم يلد ولم يولد .

ولم يقف الأمر عند النصارى إلى هذا الحد بل زعموا الأقانيم الثلاثة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة:٧٣] ، والذين يقولون بهذا القول هم المرقوسية " معناه: ثالث ثلاثة آلهة ، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

---

١ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدرسابق ، ج١٢، ص٤٦٢ .
٢ – البخاري، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج ٤، ص ١٦٧ ، رقم: ٣٤٤٥ ، كتاب: احاديث الأنبياء ، باب : قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦] ".
٣ – الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج١١ ، ص٢٧١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦]" (١) ، فحكموا على أنفسهم بالكفر والهلاك واستحقاق العذاب الأليم بقولهم إن الله هو المسيح ابن مريم وأن الله ثالث ثلاثة ، وقد كرر الله تعالى هذا الحكم أكثر من مرة في القرآن بحقهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] ، و [المائدة:٧٢] و[المائدة:٧٣] ، ثم يأتي الإستفهام بمعنى التعجب من جمود عقولهم وقساوة قلوبهم وانحراف تفكيرهم (أفلا يتوبون) " بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر. وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه. وفيه تعجب من إصرارهم " (٢) ، هذا العناد على الباطل لا يكون إلا ممن أحب العمى على الهدى ، ورضي أن يكون مملوكاً لمملوك مثله ؛ لذلك تجدهم يتخذون الأرباب من دون الله يحبونهم كحب الله ويقدمون أمرهم على أمر الله ، فعن عدي بن حاتم قال : " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] ، قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه " (٣) وليس ينفع مع هؤلاء الأذلاء الأصاغر إلا العذاب لذلك توعدهم الله بالعذاب بصيغة الجمع (ليمسن) أي " ليمسن الذين يقولون هذه المقالة، والذين يقولون المقالة الأخرى:"هو المسيح ابن مريم"، لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم" (٤) ؛ لأن من أشرك مع الله تعالى الهٌ أو أكثر هم في الكفر سواء فالوحدانية أن تفرد الله تعالى عن جميع المخلوقات والمعبودات بقولك مخلصاً بها قلبك محققاً شروط لا إله إلا الله .

المطلب الثالث : موقف العرب من دعوة التوحيد

كانت العرب قبل الإسلام على ملة إبراهيم –عليه السلام– – على الحنيفية – ثم انحرفت عنها فأصبحت أمة جاهلة ، تبعت الأمم الغابرة في التيه والضلال ، فأشركت مع الله عبادة الأوثان

---

١ – البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٧١.

٢ – الزمخشري، **الكشّاف** ، مصدر سابق ، ج ١، ص ٦٦٤.

٣ – الترمذي ، محمد بن عيسى (المتوفى:٢٧٩هـ) ، **سنن الترمذي** ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، ج ٥ ، ص٢٧٨ ، رقم : ٣٠٩٥ ، قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب و غطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث ، وحسنه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشي من فقهها** برقم : ٣٢٩٣ .

٤ – الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج١٠ ، ص٤٨٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأصنام ، التي ادخلها عمرو بن لحي ، فقد ذكر ابن هشام : " أنَّ عمرو بن لحي جاء بها من أرض البلقاء وقد رأى العماليق من نسل أبناء نوح –عليه السلام– يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالُوا له : هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فأخذ منهم صنم يقال له هبل وأمر الناس بعبادته "(١) ، ويؤيد رواية ابن هشام ما ذكره البخاري في حديث النار عن النبي –ﷺ– أنه قال : " ورأيت فيها عمرو بن لحي وهو الذي سيّب السوائب » (٢) فكان هو سبب الإنحراف الذي طرأ على أتباع الحنيفية .

واستمر العرب في جاهليتهم على وثنيتهم فصار لكل قبيلة إله من الأوثان يعرف بهم بعدما قلدوا الضالين من قوم نوح –عليه السلام– ، فأخذوا عنهم أسماء الأوثان التي كانوا يعبدونها فأما "ودٌّ كانت لكلب بدومة الجنْدل، وأمَّا سُواعٌ كانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمذان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع " (٣) .

واستمر هذا الحال إلى أن بعث الله تعالى النبي –ﷺ– برسالة الإسلام الخاتمة ، وأمره بدعوة التوحيد ، وقد مرت الدعوة بعهدين هما : العهد المكي والعهد المدني ، وكان من أهم سمات العهد المكي هو التركيز على قضايا العقيدة ومن أهمها الوحدانية ، حيث مكث النبي –ﷺ– ثلاثة عشر سنة منها ثلاث سنوات سراً ، يدعو أهل مكة ومن حولها إلى توحيد الله تعالى ونبذ ما هم عليه من عبادة الأوثان ، ولمّا آن الأوان لانطلاق الدعوة ، جاء الأمر الإلهي إلى النبي –ﷺ– بأن يصدع بالدعوة بقوله تعالى :﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الحجر: ٩٤] .

لم يؤمن خلال تلك الفترة إلا القليل ممن تنطبق عليهم صفات أتباع الرسل وهم الضعفاء والعبيد ، بينما يقف الملأ وعلية القوم موقف آخر من هذه الدعوة التي ظنوا أنها ستسلبهم ذاك المجد والعلو الذي كانوا يستعبدون الناس به ، فأخذوا يفكرون ويحيكون للقضاء على هذه الدعوة في مهدها فآذوا النبي –ﷺ– وأصحابه ثم ساوموا حيث أرسلوا عتبة بن ربيعة إلى النبي –ﷺ– ليعرض عليه أمور عله يرجع عن هذه الدعوة (٤) ، ثم قاطعوا وحاصروا ، ثم قرروا إغتياله .

---

١ – انظر– ابن هشام، **السيرة النبوية لإبن هشام** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٧٧ .
٢ – البخاري، **صحيح البخاري** ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٦٥ ، رقم: ١٢١٢ .
٣ – المصدر ذاته، ج٦ ، ص١٦٠ ، رقم: ٤٩٢٠ .
٤ – انظر – ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى: ١٥١هـ)**سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)** ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م ، ج١ ن ص٢٠٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تميزت رسالة التوحيد التي جاء بها النبي -ﷺ- أنها مرّت بمراحل وهي " دعوة الأقارب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ؛ لأن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم ، ثم دعوة العرب لقوله تعالى :﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى: ٧] ، ثم دعوة إلى الناس أجمعين لقوله تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١] " (١)، وهي رحمة الله إلى العالمين ، وكذلك اسلوب الدعوة الذي تميّز به النبي -ﷺ- جمع أجمل ما امتاز به الرسل من قبل ، وأن المجابهة التي قوبل بها هي خلاصة ما امتاز به الأقوام السابقين من الكبر والعناد والجهل والإيذاء بنوعيه المادي والمعنوي .

وقد اتحدت كلمة الكفر في كل زمان ومكان للتصدي للتوحيد ، فقريش حينما صدح النبي -ﷺ- بكلمة التوحيد – لا إله إلا الله – أخرجت أضغانها وبانت خفاياها ، واستخدمت كل الوسائل للحيلولة دون انتشار هذا الدين ، فشكوه إلى عمه أبي طالب ليكفه عن نفي أن تكون الأصنام والأوثان آلهة مع الله ، فقال النبي -ﷺ- : " يا عم ، إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها جزية العجم " قال: كلمة واحدة ؟ قال: " كلمة واحدة " قال: ما هي ؟ قال: " لا إله إلا الله " قال: فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] قال: ونزل فيهم ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[ص: ١] حتى بلغ ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٧]" (٢) .

وقد شابت عقيدة الشرك عند العرب كثير من الشوائب ، التي أثرت على مدى استجابتهم لدعوة التوحيد وذلك ؛ لأن " دين العرب في الجاهلية خليطا من عبادة الأصنام ومن الصابئية عبادة الكواكب وعبادة الشياطين، ومجوسية الفرس، وأشياء من اليهودية، والنصرانية " (٣) ، ولهذا كثرت اعتقاداتهم الشركية ومنها أنهم جاءوا بإفكٍ عظيم عندما قالوا بأن الملائكة بنات الله ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ، وبزعمهم هذا

---

١ – انظر – رؤوف شلبي ، **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها** ، دار القلم ، الطبعة: الثالثة ، ص ٢٩٤ .

٢ – الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، **المستدرك على الصحيحين للحاكم** ، تحقيق: مقبل الوادعي ، دار الحرمين ، القاهرة – مصر ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ج ٢ ، ص٥٠٨ ، رقم: ٣٦٧٤ " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

٣ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص٤٠٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد استغرقوا في أنواع من الكفر" أحدها: التجسيم، لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه، حيث أنثوهم " (١) ، ولمّا كان قولهم هذا لا يعتمد على علم ولا دليل ، جاء الرد الإلهي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٠] ، وهم شاهدون أي وهم حاضرون خلقهم وهذا الإستفهام " إنكاري وتعجيبي من جرأتهم وقولهم بلا علم"(٢) .

وكثيراً ما تراهم يتأرجحون في أقوالهم المضطربة ، فبعدما جعلوا لله الولد جعلوا له شركاء من الجن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ، " فكان العرب يثبتون الجن وينسبون إليهم تصرفات، فلأجل ذلك كانوا يتقون الجن وينتسبون إليها ويتخذون لها المعاذات والرقى ويستجلبون رضاها بالقرابين وترك تسمية الله على بعض الذبائح. وكانوا يعتقدون أن الكاهن تأتيه الجن بالخبر من السماء، وأن الشاعر له شيطان يوحي إليه الشعر" (٣) ، مما حدا بقريش إلى أن تجعل بين الله تعالى والجنة نسباً .

ثم لما تضيق بأهل الشرك الدوائر فإنهم يدعون أنهم ما يعبدون تلك الأصنام إلا لتكون صلة ما بينهم وبين الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] لتشفع لهم عند الله تعالى ، وهذا الإضطراب دفعهم إلى أن طلبوا من النبي –ﷺ– أن يتقاسموا العبادة فيما بينهم

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ١ – ٣] ، فيأمر الله تعالى النبي –ﷺ ومن معه أن يعلنوا البراءة من دنس الشرك .

وهكذا نرى أن جميع ما جاء به القوم من مزاعم ما هي إلا تقليد محض ، فقد قلدوا من قبلهم من الأمم بدون علم ولا دراية ، بل سيطر الجهل على عقولهم ، فلم تعد تفرق بين الحق والباطل ، رغم إن الدلائل التي جاءتهم لا يحار فيها عقل سليم ولا يتنكبها إلا جاهل عقيم .

---

١ – الزمخشري ، **الكشّاف** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص٦٣ .
٢ – ابن عاشور ، المرجع السابق ، ج٢٣ ، ص١٨١ .
٣ – المرجع ذاته ، ج٢٣ ، ص١٨١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : أسباب إعراض الكفار والمشركين عن قبول دعوة التوحيد

المطلب الأول : الإستكبار والجحود

الكبر من الآفات العظيمة التي توقع صاحبها في المعصية ، وتودي به إلى النار" والكبر بالكسر : العظمة ، واستكبار الكفار : أن يقولوا لا إله إلا الله ، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات: ٣٥] ؛ وهذا هو الكبر الذي قال فيه النبي –ﷺ– : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "(١) ، قال : يعني به الشرك والله أعلم ، لا أن، يتكبر الإنسان على مخلوقٍ مثله وهو مؤمن بربه ، والإستكبار : الإمتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً "(٢) .

وأول من استكبر ووجد في نفسه العجب إبليس ، وذلك لمّا رأى أنه أحسن حالاً من آدم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٥ – ٧٦] ، فجعل خيريته أنه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين ، فاستحق بذلك الخروج من الجنة واللعنة إلى يوم الدين .

والكبر من أهم أسباب الإعراض عن توحيد الله تعالى ، وهو سمة يتميز بها عالية القوم وسادتها ؛ لأن التوحيد يسلبهم ما استعبدوا الناس به من الشرف والإستعلاء والقوة المتجبرة على الضعفاء ، " لأنه يشق عليهم أن يكونوا مرءوسين، وأن يخضعوا للأوامر والنواهي التي تحرم عليهم الإسراف الضار. وتوقف شهواتهم عند حدود الحق والاعتدال"(٣) .

وكان أول المستكبرين عن دعوة التوحيد هم قوم نوح –عليه السلام– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧] ،" أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا

---

١ – مسلم ، **صحيح مسلم** ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٩٣ ، رقم: ٩١ .
٢ – انظر – ابن منظور ، **لسان العرب** ، مصدر سابق ، مادة (كبر) ، ج ٥ ، ص١٢٦ .
٣ – رضا ، **تفسير القرآن الحكيم – تفسير المنار**– ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص٤٤٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم. بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق " (١) . والملأ هم أشراف القوم فقد اخذ منهم الكبر أن استصغروا نوح –عليه السلام– وأتباعه الذين آمنوا ونعتوهم بأراذل القوم ، ورفضوا كل دلائل الوحدانية التي جاء بها نوح –عليه السلام– فضلوا وأضلوا الأتباع المستضعفين ، وغرهم ما كانوا فيه من التمكين في الأرض فاعتقدوا أنهم هم القادرون عليها وما علموا أن النعم التي كانوا ينغمسون فيها كانت طريق النجاة لو أنهم أدوا حق الله فيها وشكروه عليها بأن أقروا له بالوحدانية ، ولكن لمّا استكبروا كانت عليهم وبالاً في الحياة الدنيا والآخرة .

وعلى هذا النهج كانت عاد قوم هود –عليه السلام– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] ، فقد غرتهم قوتهم عن الإذعان بتوحيد الله تعالى " وقالوا من أشد منا قوة وكانوا ذوي أجسام طوال وقوة شديدة، فاغتروا بأجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب، ومرادهم بهذا القول أنهم قادرون على دفع ما ينزل بهم من العذاب " (٢) .

وهذا فرعون الذي تأله على الله تكبراً وعناداً يرفض الإقرار بالوحدانية بعدما رأى من آيات ربه الكبرى ، وينادي في الملأ الذين استعبدهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النازعات: ٢٤] ويرددها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[القصص: ٣٨] ، فقد غره استعباده قومه وخنوعهم ، وما كان له من العلو في الأرض ، حتى تجرأ في الرد على موسى وهارون بإسلوب إنكاري تهكمي "قال فرعون لهما: فمن ربكما؟ فأضاف الرب إليهما ولم يضفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما ولجحده للربوبية " (٣) ، وهذا العناد لم يكن عن جهل بذات الله من فرعون بل " كان عارفا إلا أنه كان يظهر الإنكار تكبرا وتجبرا وزورا وبهتانا" (٤) .

ولم يكن زعماء قريش وسادتها إلا خلفاً لمن سبقهم من المكذبين المستكبرين من الأقوام السابقة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

---

١ – السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص٥٩٤ .
٢ – الشوكاني ، **فتح القدير** ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص٥٨٥ .
٣ – المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص٤٣٥ .
٤ – الرازي، **مفاتيح الغيب** ، مرجع سابق ، ج٢٢، ص٥٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ مَجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦] ، فهؤلاء كانوا إذا قيل لهم أنه لا إله إلا الله ولا معبود سواه " أصابهم كبر وعظم عليهم أن يتركوا أصنامهم وأصنام آبائهم، " (١) ، وازدادوا إفكاً بأن نعتوا النبي –ﷺ– بالشاعر المجنون وهذا من شدة عتوهم واستكبارهم .

ومن صور الإستكبار عند مشركي قريش قول الله تعالى بحق الوليد بن المغيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [المدثر: ٢٣] ، ففي الحديث الذي يرويه ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله –ﷺ– فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله! قال: قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له قال: وماذا أقول؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: قف عنى حتى أفكر فيه فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره "(٢) .

ومن أسباب إعراضهم عن قبول التوحيد الجحود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] ، " الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه، يقال: جحد جحودا وجحدا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [النمل: ١٤] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١] " (٣) ، فهؤلاء لا يكذبون النبي –ﷺ– لأنهم ما عهدوا عليه كذباً ولكنهم يكذبون ما جاء به من الوحي " أي: لا يتهمونك

---

١ – الشوكاني ، **فتح القدير** ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص٥٨٥ .

٢ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر(المتوفى: ٧٧٤هـ) ، **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)** ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م ، ج١ ، ص٤٩٩ ، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية ، ط١ ، ج١ ،ص١٥٨ .

٣ – الراغب الأصفهانى ، الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ ، ج ١ ، ص١٨٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالكذب في نفس الأمر، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، أي: ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم " (١) .

ويظهر مما سبق أن غالب المعاندين المستكبرين عن التوحيد في جميع العصور هم من عالية القوم الذين غرتهم الحياة الدنيا وزخرفها ، ورفضوا فكرة البعث بعد الموت للحساب ، فانصرفوا إلى تكذيب كل ما يذكرهم بزوال قوتهم ومنعتهم ونعيمهم في الحياة الدنيا ، فأنكروا الآيات والدلائل بعدما علمتها أنفسهم ، فاستحقوا الشقاء والعذاب الأليم .

المطلب الثاني : التبعية

ما من امة من الأمم إلا وكان فيها مستضعفين ، إما لفقرهم وإما لعدم وجود المنعة والنصرة والقوة ، وإما لجهلهم وهؤلاء هم الأتباع ، يتبعون سادة القوم فيما يقولون أو يفعلون خوفاً وضعفاً ، والإتباع أنواع منها :

١- إتباع تقليد وهذا يكون إما تقليد الآباء والأجداد حباً ونصرة لهم ، وكثيراً ما نرى هذا النوع من الإتباع تردد على ألسنة الأمم الغابرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢ – ٢٣] ، يقول الرازي " لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد وذلك لأنه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي، ثم بين أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف " (٢) ، وقد ظهرت هذه التبعية والتقليد من ملكة سبأ وقومها في حكاية الهدهد لسليمان –عليه السلام– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٤ - ٢٦] ، أخبر الله تعالى عن سبب صد ملكة سبأ عن التوحيد بعدما تبين لهم من آيات الله الكبرى الدالة على الوحدانية ، فهو الذي

---

١ – رضا ، تفسير المنار ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص٣١١.
٢ –الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق ، ج ٢٧، ص ٦٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يخرج الخبء ويعلم غيب السموات والأرض قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [النمل: ٤٣] ، أي " لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم "(١) .

وإما تقليد المترف الذي حمله ترفه للاشتغال بالدنيا وملذاتها إلى الانصراف عن النظر والتفكر والاستدلال بما جاءهم من البيّنات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣] ،فقد ذكّر الله تعالى بنعمتي الخلق والرزق " إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء وإلى نعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء ثم بين أنه لا إله إلا هو نظرا إلى عظمته ، ثم قال تعالى: فأنى تؤفكون أي كيف تصرفون عن هذا الظاهر، فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت " (٢)، لذلك فإن" الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه، إنما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال " (٣) .

وقد بيّن القرآن أن السبب في إعراض قريش ومن قبلها قوم إبراهيم الإغترار بنعيم الدنيا والإشتغال به أي متعت " أهل مكة وهم عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة واشتغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والبينات فكذبوا به " (٤) .

وإما أن يكون تقليد الضعيف الخائف من البطش والعدوان من قبل جبابرة أقوامهم ومن تلك الصور ما كان يفعله فرعون مع المستضعفين من قومه وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[الأعراف: ١٢٧] ، فقد اعتمد فرعون في استعباد قومه على" القهر، الذي لا يدع لرأس أن يفكر، ولا للسان أن يعبر. وهم يرونه بشرا مثلهم يحيا ويموت، ولكنه يقول لهم هذه

---

١ –الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، مصدر سابق ، ج ١٩، ص ٤٧٢.
٢ – الرازي ، **المصدر السابق** ، ج ٢٦، ص ٢٢٣.
٣ – المصدر ذاته ، ج ٢٧ ، ص٦٢٨ .
٤ – المصدر ذاته ، ج ٢٧ ، ص٦٢٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب " (١) ، لذلك لم ينكروا عليه مقالته – أنا ربكم الأعلى – وبين القرآن الكريم أن هذه التبعية لم تكن عن علم وقناعة بل على الأمر الجبري وذلك عندما يتخاصمون يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾[سبأ: ٣٣] ، إذ يتبرأ الذين أتبعوا من الذين اتبعوا فيعلنون ندمهم على طاعتهم لهم بالكفر والشرك بالله .

وكذلك الملوك والجبابرة يستعبدون الضعفاء في كل زمان ، ويجبرونهم قصراً وقهراً على معتقداتهم الباطلة وإلا تعرضوا لألوان من العذاب فقصة أصحاب الإخدود (٢) حاضرة في الأذهان عن مدى الوحشية والبطش في الإستعباد والصد عن التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] ، لقد اجتهد المشركون من قريش على هذا الأمر فأخذوا يعذبون العبيد والضعفاء جهاراً نهاراً ليصدونهم عن التوحيد وليكونوا عبرة لغيرهم ، ثم أنهم يخلقون الأعذار لعدم قبولهم دعوة الحق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص: ٥٧] " يقول تعالى مخبرا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى، وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا " (٣) ، إلا أن الله تعالى يرد على إفكهم بأنه مكّن لهم حرماً آمناً وهم على الكفر فهو مع الإيمان أشد حرمة وأمناً .

٢- إتباع بسبب الجهل : والجهل هو آفة الأمم التي تفتك بها ، فكثيراً من الأمم كان فيها من الجهلاء الذين اتبعوا الآباء والأجداد والسادة ليس لقوة دليلهم ؛ ولكن لضعف عقولهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا

---

١ – ابن عطية ، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** ، مصدر سابق ، ج٤ ، ٤٧١ .
٢ – انظر ، الترمذي ، **سنن الترمذي** ، تحقيق أحمد شاكر وآخرون ،ج٥ ، ص٤٣٧ ، رقم : ٣٣٤٠ .
٣ – ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص٢٤٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] ، فلمّا قيل لهؤلاء اتبعوا ما أنزل الله قالوا " بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم " (١) ، فثبت أن تبعيتهم كانت تبعية جاهلٍ عن جاهل ؛ لأن آباءهم لا يعقلون ما هم عليه من الضلال ، ومن صور الجهل أن مشركي قريش إن الملائكة هم بنات الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧] ، وقد وردت هذه الآيات بأساليب " ناطقة بتسفيه أحلام قريش، وتجهيل نفوسها، واستركاك عقولها، مع استهزاء وتهكم وتعجيب، من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا، فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا " (٢) ، وكذلك يظهر جهل حال قريش في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠] ، " عن عطاء: وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] " (٣) ، وقيل وهو جهلهم بأسماء الله وصفاته حيث " أن العرب لم تكن تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى: وكان مأخوذاً من الكتاب فلما دعوا إلى السجود لله تعالى بهذا الاسم سألوا عنه مسألة الجاهل به ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، أو هو للدلالة على زيادة نفورهم وجحودهم للتوحيد "(٤) .

المطلب الثالث : زعمهم أن الله تعالى لم يشأ لهم الهداية

هذا هو حال المكذبين الضالين يوم يرون العذاب الأليم والخسران المبين ، يوم يجتمعون بأتباعهم وقد علت وجوههم علامات الخزي والضعف ، فيبدأون بخلق الأعذار القبيحة دفعاً عن سوء صنيعهم في الحياة الدنيا فينسبون لله ما لا يصح ، ويلقون على الله سبب أوزارهم ظناً منهم أن هذا مخرجهم ومزحزحهم من العذاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ

---

١ – الزمخشري ، **الكشّاف** ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص٢١٣ .
٢ – المصدر السابق ، ج ٤ ، ص٦٤.
٣ – ابن أبي حاتم ، **تفسير ابن أبي حاتم** ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص٢٧١٥ .
٤ – الماوردي ، **النكت والعيون** ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص١٥٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ، فجعلوا مشيئة الله وإرادته هي المانع من حصول الإيمان منهم وهذا هو الكذب المحض " فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله، وهو تكذيب الله وكتبه ورسله، ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره " (١) ، فقد ورث هذا الكذب والإفتراء مشركي قريش من أسلافهم فأخذوا يحاجون النبي -ﷺ- بمثل هذا القول قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠] ، فكلما دعاهم النبي -ﷺ- إلى نبذ الشرك والتخلي عن عبادة الأصنام والجن قالوا " لو أن الله لا يحب أن نعبدها لكان الله صرفنا عن أن نعبدها، وتوهموا أن هذا قاطع لجدال النبي -ﷺ- لهم لأنهم سمعوا من دينه أن الله هو المتصرف في الحوادث فتأولوه على غير المراد منه " (٢).

فكيف يرضى الله منهم الكفر ويقرهم عليه وقد بعث في كل أمة رسول يهديهم ويعلمهم ويخرجهم مما هم فيه من وحل العبودية لغير الله ، فكل نبي جاء قومه برسالة التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وينذرونهم ما هم عليه من الشرك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل: ٢] ، وختم الأنبياء بنبي الرحمة محمد -ﷺ- الذي دعا الناس لعبودية الله وحده قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨] ، وكذلك وصفه تعالى لذاته العلية بالأسماء والصفات التي تثبت أنه ما يريد بعباده إلا الرحمة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

---

١ – الزمخشري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٧ .
٢ – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، مصدر سابق ، ج٢٥ ، ص١٨٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد سار على هذا النهج الكثير من المسلمين ، ممن أساءوا فهم النصوص الشرعية فأخذوا بظاهرها ، فحادوا عن مراد الله تعالى ونسبوا من غير علمٍ إلى الله إرادته للقبيح من القول والعمل ، فقالوا إن الإنسان ليس له إرادة في أعماله بل هو مجبر عليها واستدلوا بآيات أساءوا فهمها فتوهموا أن مفادها أن من ضل لم يكن له إرادة في ضلالة ولكنها مشيئة الله التي أرادت ذلك ، ومن هؤلاء الجهم بن صفوان و هو من الجبرية حيث قال :" إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات كما يقال : أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر " (١).

والحق أن الله تعالى جعل لنا الإرادة في الهداية أو الضلالة ، ولم يجبرنا عليها جبراً ، وقد دلت النصوص الكثيرة على أن الله يريد بالناس خيراً ، وإنما صرف عن الهداية من لايستحقها بعد أن وصلت إليه الدلائل والبينات والحجج والبراهين ، ويسر لهم سبل الهداية وذلك لعلمه جل وعلا أن هؤلاء لم تكن لديهم الرغبة الصادقة للهداية ؛ بل رغبوا عنها وهجروها إلى سبل الغواية ، فقد فسّر علماء التفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦] ، أن الهداية في دخولهم الإسلام ليست بيد النبي أو أحد من الخلق وإنما هي لله وحده بعد أن علم " بالمهتدين بالمستعدين لذلك " (٢) ، فالله تعالى يخلق فعل الإهتداء للمهتدين ؛ لأنه هو أعلم " بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات " (٣).

وقد بيّن لنا الله تعالى أنه لا يهدي أصناف من الناس اجتمعت فيهم صفات لا يمكن لها أن تهتدي وهي على هذا الحال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣] ، فكيف بمن يتقلب في آلهته حسب هواه أن يهتدي ؛ لذلك كان إضلال الله إياه على علمٍ " بأن جوهر روحه لا يقبل

---

١ – انظر – الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (المتوفى: ٥٤٨هـ – ١١٥٣م)، **الملل والنحل** ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤، ج١ ، ص٨٥ .

٢ – البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، مصدر سابق٤ ، ج، ص١٨١ .

٣ – النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، مصدر سابق، ج٢، ص٦٤٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلاح " (١) ، وهؤلاء من توفرت فيهم الصفات المذكورة في الآيات التالية : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾،[البقرة: ٢٦٤]، فهذا " كُفْره سابق لعدم هدايته " (٢)، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[المائدة: ١٠٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾[الزمر: ٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾[غافر: ٢٨] ، وكذلك الظالم والفاسق والكاذب الكفّار والمسرف الكذّاب ، فهؤلاء استحقوا الضلالة بما كسبت أيديهم .

والملاحظ على هؤلاء أنهم استغرقوا في الكفر والشرك وأعرضوا عن الآيات الآية تلو الآية قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧ ﴾ [النساء: ١٣٧] ، فالذين كفروا بالله بعد إيمانهم ثم كفروا ولم يثبتوا على الإيمان فذلك " يدل على أنه لا وقع للإيمان في قلوبهم، إذا لو كان للإيمان وقع ورتبة في قلوبهم لما تركوه بأدنى سبب، ومن لا يكون للإيمان في قبله وقع فالظاهر أنه لا يؤمن بالله إيمانا صحيحا معتبرا فهذا هو المراد بقوله لم يكن الله ليغفر لهم " (٣) وهم المقصودون من عدم هداية الله تعالى لهم .

فمن أراد الهداية وسعى لها سعيها فإن الله تعالى ييسر له سبل الهداية ويهديه لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴾[الحج :١٦] ؛ لأن الله تعالى بيّن لنا طريق الخير وطريق الشر قَالَ تَعَالَى:﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾[البلد: ١٠]، وهدى الله للناس أن " دلّ المؤمن ودلّ الكافر على الخير، المؤمن رضي بالله وقبل أمره ونَهْيه ، وحمد الله على هذه النعمة، فزاده إيماناً وأعانه على مشقة العبادة، وجعل له نوراً يسير على هَدْيه ، أما الكافر فقد تركه يتخبّط في ظلمات كفره، ويتردد في متاهات العمى والضلال" (٤) .

---

١ – الرازي، **مفاتيح الغيب** ، مصدر سابق، ج ٢٧، ص٦٧٨ .
٢ – الشعراوي، **تفسير الشعراوي** ، مرجع سابق، ج ١٦، ص٩٧٤٤.
٣ – الرازي، **المصدر السابق** ، ج ١١، ص٢٤٤ .
٤ – الشعراوي، **تفسير الشعراوي** ، ج ١٦، ص ٩٧٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كذبوا على الله في الدنيا بأن ادعوا أن لا إرادة لهم بكفرهم لعدم رغبة الله تعالى بإيمانهم ، فأبطل الله دعواهم بالحجج الواضحة ، ثم هم يوم القيامة يتبرأون من أتباعهم ويعتذرون إليهم بأن لو هداهم الله لهدوهم ، فأبهتهم الله هم ومن اتبعوهم بأن جعل النار مثواهم أجمعين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن سار على هديهم إلى يوم الدين ، الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة بعد أن حاولت أن أقطف أطيب الثمار من أفضل الجنان ، لكن يبقى هذا الجهد من اجتهادات البشر المعرضة للنقص والقصور ، فما وفقت إليه من الصواب فمن الله تعالى ، وما أخطأت وأسأت التقدير والفهم فمن نفسي والشيطان وابرأ إلى الله منه واستغفره ليغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وقد ظهرت من خلال هذه الدراسة بعض النتائج ، أردت أن أذكرها للفائدة :

١- إن كلمة التوحيد لا يتحقق معناها إلا إذا توفرت أركانها من النفي أو الإثبات ، إذ لا يجوز

أن يقول قائل " لا إله" ؛ لأنها تنفي جميع جنس الآلهة إذ لابد من إتمام الكلمة بإسم العلم أو ما دل عليه من الضمائر .

٢- إن لكلمة التوحيد – لا إله إلا الله – مراتب أدناها قولٌ باللسان وأعلاها القول واليقين والعمل ، يأمن من حقق أدناها على نفسه وماله ، ويرتقي من حقق شروطها في مراتب الكمال ، لذلك لا يجوز التشكيك والتكفير لمن نطق بالشهادتين .

٣- إن حاجة البشرية إلى التوحيد حاجة فطرية تطلبها النفوس الباحثة عن الراحة في الدارين ، بالرغم من تجاوز الكثير حدود الله إلا أنهم يقرون بها في قرارة أنفسهم .

٤- ورود كلمة التوحيد في العهد المكي أكثر من العهد المدني ، ويدل ذلك على أن قريش كانت فاسدة العقيدة مستغرقة في الوثنية ، لذا جاءت لتصحيح عقيدتهم الفاسدة .

٥- إن العلاقة بين عناصر التوحيد – توحيد الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات – علاقة قوية جداً لا تنفك عن بعضها البعض ، فعن طريق توحيد الأسماء والصفات تتعرف على ذات الله وبتوحيد الربوبية إثبات لوحدانية الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- لا يجوز إطلاق الأسماء والصفات التي يختص بها الله تعالى على أحدٍ من خلقه ، ولا يجوز أن نطلق العنان لأنفسنا في التعامل مع الأسماء والصفات ، وان نلتزم مذهب السلف الصالح في التعامل مع الأسماء والصفات .

٧- إن هذه الكلمة هي الأساس الذي قامت عليه البشرية وأنها المنهاج القويم الذي يصلح به حال البشر ، وأن جميع الأنبياء والرسل جاءوا بعقيدة واحدة وهي وحدانية الله تعالى .

٨- على الداعية المسلم الصبر والتحمل في سبيل إيصال الدعوة إلى جميع الناس.

التوصيات :

١- أن تكون هنالك دراسات أكثر متخصصة للإحاطة بمكنونات هذه الكلمة .

٢- أن تكون هنالك دراسة عن أثر التوحيد في البشرية .

٣- أن تكون هنالك دراسة لنواقض لا إله إلا الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل المصادر والمراجع

١- جامع البيان في تأويل القرآن :

للإمام محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) ، ويعد من أقدم كتب التفسير بالمأثور ، حيث كان يفسر الآية بالآية ثم يستشهد بالأحاديث المسندة إلى النبي-ﷺ- والصحابة والتابعين ، ثم يورد المسألة التي فيها أكثر من قول ويرجح بينها ، ويهتم بأقوال أهل اللغة فيما قالوه من معاني بعض الألفاظ ، ويذكر وجوه القراءات والنواحي الفقهية .

٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :

للإمام ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) وهو من أول التفاسير التي بحثت في أسرار البلاغة في القرآن الكريم ، ووجوه الإعجاز والبيان ، وتميز بدقة معانيه الموجزة والبليغة .

ومنهجه في تفسير الآيات الإكثار من النكت البلاغية والإعراب والنحو بشكل واضح ، غير أن العلماء أخذوا عليه أنه يفسر الآيات ويؤولها لتخدم مذهبه الإعتزالي ، وقد أفدت منه الكثير في الجوانب اللغوية والبلاغية .

٣- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) :

للإمام محمد بن عمر الحسين الرازي الملقب بفخر الدين (ت: ٦٠٦هـ) وهو من أوسع التفاسير ويعتبر موسوعة علمية في التفسير ، ويعتمد في تسيره على المنهج العقلي ، ويقسم المسألة إلى مسائل ثم يجيب بإسهاب على كل مسألة من حيث أسباب النزول والمناسبات بين الآيات والسور ، واهتم بالمسائل الفقهية واللغوية والبيانية ، ويستدل على تفسير القرآن بالقرآن أولاً والأحاديث وأقوال السلف ثانياً ، وقد أفدت منه إفادة عظيمة في مختلف محاور التفسير .

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل :

للإمام عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (٦٨٥هـ) ، وقد اعتمد صاحبه في تفسيره على اللغة العربية ، معتمداً على تفسير الكشاف وتفسير مفاتيح الغيب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجمع هذا التفسير بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، واللطائف اللغوية والقراءات ، وعلوم الكلام والطبيعة ، ويعرض للمسائل الفقهية دون توسع ثم يرجح بينهما ، وقد أفدت منه في بعض مسائل البحث .

٥- صحيح البخاري :

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) ، يعتبر أول من ألف في الحديث الصحيح ، حيث رتبه على الأبواب الفقهية ، وجمع فيه (٧٥٦٣) حديثاً ، المكرر منها (٢٧٦١) حديثاً ، جمعها من ستمائة ألف حديث .

ويعتبر صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن الكريم ، حيث تلقته الأمة بالقبول ، واهتم علماء الأمة في مختلف العصور حيث ألفت عليه كثير من كتب الشروح ، وقد رجعت إليه في الإعتماد على الأحاديث الصحيحة مدار البحث .

٦- التحرير والتنوير :

للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ،(ت : ١٣٩٣هـ) ، يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التفسير المعاصرة ، حيث يجمع أقوال المفسرين السابقين ويرجح بينهما ، ويجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، اهتم ببيان وجوه الإعجاز واستعمال الألفاظ العربية ويتعرض للأحكام الفقهية ويرجح بين الأقوال وينسبها إلى قائلها ، ويحقق في كثير من المسائل العقدية ، ويعتبر من المراجع المهمة التي اعتمدت عليها في دراس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

١- إبراهيم بن السري الزجاج (ت: ٣١١هـ) ، معاني القرآن وإعرابه ، ت: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٢- إبراهيم بن السري الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ،تفسير أسماء الله الحسنى ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية.

٣- ابراهيم بن عمرالبقاعي (المتوفى : ٨٨٥) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، الطبعة : بلا.

٤- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة .

٥- أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة – بيروت.

٦- أبو حامد محمد الطوسي الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ت: بسام عبد الوهاب الجابي ،الجفان والجابي – قبرص ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٧- أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

٨- أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، شعب الإيمان .

٩- أحمد عبد الحليم ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢.

١٠- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١١- أحمد بن عبد الحليم بن تيميه (المتوفى : ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، تحقيق : علي بن حسن وآخرون ، دار العاصمة – السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م

١٢- أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس (المتوفى: ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣- أحمد بن محمد بن حنبل(المتوفى: ٢٩٠هـ)، السنة ، ت: د. محمد بن سالم القحطاني دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٤- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، تفسير المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

١٥- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، الطبعة والنشر بلا.

١٦ - أحمد بن محمد الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

١٧- أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل ، تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله ، مراجعة وتقديم: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٨- إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى : ٧٧٤ هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

١٩- إسماعيل بن عمر ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م

٢٠- الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

٢١- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .

٢٢- الحسين بن مسعود البغوي (ت :٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ت : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٢٣- إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي ، تفسير روح البيان ، دار إحياء التراث العربى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، معنى لا إله إلا الله ، تحقيق: علي محيي الدين علي القرة راغي ، دار الاعتصام - القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٢٥- حافظ بن أحمد الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ) ، معارج القبول بشرح سلم القبول إلى علم الأصول ، تحقيق: عمر بن محمود ، دار ابن القيم ،- الدمام ، الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٢٦- حامد بن محمد محسن ، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد ، تحقيق: بكر أبو زيد ، دار المؤيد ، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٦م.٢٧٦- رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها ، دار القلم ، الطبعة: الثالثة ، ص ٢٩٤ .

٢٧- سامي وديع القدومي ، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، دار الوضاح الأردن - عمان.

٢٨- سليمان بن أحمد الطبراني ، (المتوفى: ٣٦٠هـ) ،المعجم الكبير ، ت: حمدي بن عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، الطبعة: الثانية

٢٩- سليمان بن الأشعث أبو داود (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، **سنن أبي داود** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٣٠- سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب (المتوفى : ١٢٣٣هـ) ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي بيروت - دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ -٢٠٠٢م

٣١- سيد سابق (ت: ١٤٢٠هـ) العقائد الإسلامية ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٣٢- سيد قطب إبراهيم (المتوفى:١٣٨٥هـ) ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٢هـ .

٣٣- شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٣٤- صبّاح عبيد دراز ، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ، مطبعة الأمانة - مصر ، الطبعة الأولى : ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٥- عبد الحق بن غالب ابن عطية (المتوفى : ٥٤٢ هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠.

٣٦- عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٣٧- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

٣٨- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ .

٣٩- عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ت: عبيد بن علي العبيد ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد ١١٢ – السنة ٣٣ -١٤٢١هـ.

٤٠- عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي ، أصول العقيدة ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net ، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٩ دروس] .

٤١-عبد الكريم محمود يوسف ، اسلوب الإستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه ، مطبعة الشام – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م .

٤٢- عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي – القاهرة .

٤٣- عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) ، لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة.

٤٤- عبد المجيد بن محمد الوعلان ، الآيات الكونية دراسة عقدية ، رسالة ماجستير ، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي ، العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ .

٤٥- عبد الملك بن أيوب ابن هشام ، (المتوفى: ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٦- عبد الله بن أحمد النسفي ، تفسير النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .

٤٧- عبدالله بن عباس (المتوفى: ٦٨هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية - لبنان.

٤٨- عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ت: ١٤٣٠هـ)، شرح العقيدة الطحاوية ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية- http://www.islamweb.net - الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠٠ درس].

٤٩- عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

٥٠- علي بن محمد بن إبراهيم الخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تصحيح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥١- علي بن سلطان محمد القاري ، (المتوفى: ١٠١٤هـ) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، دار الفكر، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٥٢- علي بن محمد بن محمد الماوردي (المتوفى:٤٥٠هـ)، النكت والعيون ، تحقيق :السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٥٣- علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الثالثة عشر - العدد (٥٠ - ٥١) ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٤- عواد بن عبد الله المعتق، شروط لا إله إلا الله ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة السادسة والعشرون - العددان (١٠١، ١٠٢) - ١٤١٤/١٤١٥هـ.

٥٥- فضل حسن عباس (المتوفى : ١٤٣٢هـ) ، قصص القرآن الكريم ، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ه- ٢٠١٠م.

٥٦- مجاهد بن جبر (المتوفى: ١٠٤هـ) ، تفسير مجاهد ،تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٧- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م.

٥٨- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ،التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر – تونس ،١٩٨٤ هـ.

٥٩- محمد أحمد محمد ملكاوي ، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، مكتبة دار الزمان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٦٠- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦١- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٦٢- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ،دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٦٣- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيه (المتوفى : ٧٥١ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق : ناصر السعوي وآخرون ،الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.

٦٤- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، تحقيق :علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأ ولى، ١٤٠٨هـ .

٦٥- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ.

٦٦- محمد بن احمد بن جزي ، (ت : ٧٤١هـ) ، التسهيل لعلوم القرآن ، ت: د. عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ.

٦٧- محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ت: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٨- محمد بن أحمد بن حبان التميمي (ت: ٣٥٤هـ) ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦٩- محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى: ١٥١هـ)سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

٧٠- محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه -صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧١- محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،جامع البيان في تأويل القرآن ، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٧٢- محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، شرح ألفية ابن مالك ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ،http://www.islamweb.net .

٧٣- محمد بن عبد الرحمن القزويني (المتوفى: ٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة: الثالثة .

٧٤- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ - ١١٥٣م)، الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤ .

٧٥- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين للحاكم ، تحقيق: مقبل الوادعي ، دار الحرمين ، القاهرة - مصر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٧٦- محمد بن علاء الدين ابن أبي العز (المتوفى: ٧٩٢هـ) ، شرح العقيدة الطحاوية ، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٧- محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، فتح القدير ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٧٨-محمد بن عمر بن الحسن الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، مفاتيح الغيب -التفسير الكبير- ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٩- محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت : ٦٠٦) لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، عنى بتصحيحه محمد بدر الدين الحلبي ،المطبعة الشرفية – مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.

٨٠- محمود بن عمرو الزمخشري (المتوفى : ٥٣٨هـ) ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ.

٨١- محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى:٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .

٨٢- محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٨٣- محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- دار إحياء التراث العربي – بيروت

٨٤- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى.

٨٥- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل الحلبي .

٨٦- محمد بن يوسف أبو حيان (المتوفى : ٧٤٥) ، البحر المحيط ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة ١٤٢٠هـ .

٨٧- محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، محاسن التأويل ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٨٨- محمد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠.

٨٩- محمد صديق خان أبو الطيب (المتوفى: ١٣٠٧هـ) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٩٠- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩١- محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ، تفسير الشعراوي - الخواطر ، مطابع أخبار اليوم (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م) .

٩٢- محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، موسوعة الألباني في العقيدة ، صَنَعَهُ: شادي بن محمد آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن ، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠.

٩٣- محمود بن أبى الحسن النيسابوري (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ) ، إيجاز البيان عن معاني القرآن ، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الأولى .

٩٤- محمود عبد الرازق الرضواني ، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة ،كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة الملك فهد .

٩٥- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٦- مصطفى بن محمد الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ) ، جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

٩٧- مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيرواني (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٩٨- منصور بن محمد السمعاني (المتوفى: ٤٨٩) ، تفسير القرآن ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وآخرون ، دار الوطن -الرياض - السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

٩٩- نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (٣٧٣هـ)، بحر العلوم ، الطبعة ودار النشر بلا المصدر : المكتبة الشاملة الإصدار الأول .

١٠٠- يحيى بن زياد الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) ، معاني القرآن ، تحقيق: أحمد النجاتي وآخر ون ، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، الطبعة: الأولى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠١- يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩ هـ) ، مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله ، تحقيق: عبد الهادي محمد منصور ، راجعه وقدم له: عبد القادر الأرناؤوط ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The word of Tawheed - There is no god but Allah- in Holy Qur'an

Thematic Study

Prepared by:

Salameh Awad Khames Al-Hosan

Supervision by:

Dr. Emad AbdulKarim Khasawneh

Praise be to God, who has proved he is the exclusive in divinity and Lordship His names and attributes , and through broadcast verses in the horizons and selves and outings for the same partner and peer and the instance He says , "I am no god but I , therefore serve Me and keep up prayer for My remembrance [Taha: 14], He ordered that defines certain knowledge He says: " Know that there is no god but Allah ." [Muhammad: 19] , Peace and blessings be upon the Messenger of God, and after:

Therefore, this letter is to look at the subject of the origin of religions , and the very source of the messages and address of the call of the Apostles ; It is a real idol worship without the other because it is proven from a deficit for the other identified with .

This study addressed the word of monotheism in the Qur'an , where he collected the most prominent words of the commentators , and showed what I tend to do than words when there is more than one opinion , and silent about what Sagth of statements and evidence is what I tend to do , and I ask God that I have been able to right .

One of the main issues addressed by this study define the word unification - there is no god but Allah - the language and idiomatically and the importance of achieving the conditions , then showed the human need to unification, and the methodology of the Koran and methods in the presentation of the word of monotheism , and the most important issues addressed , and its relationship with the names and attributes and the position of the previous nations , including The reason for their reluctance to accept it.

She concluded the letter of the most important results where found that the human need for uniformity required by the innate need of self- researcher on the right , and to the word of monotheism conditions that must be achieved and may not be expiatory provisions of the right to launch even uttered with his tongue .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com